روايات عبير



روبن دونالد

البحّار السّاحر

٨٨

العنوان الاصلي لهذه الرواية بالانكليزية
SUMMER AT AWAKOPU

المراسلات:
Harlequin (Cyprus) Ltd.
29 Michalakopoulou St.
Athens T.T. 612, Greece

Printed in Great Britain by
Richard Clay (The Chaucer Press) Ltd. Bungay, Suffolk

١ - اغرب انواع المصادقة

لو اتيح لك الصيد في منطقة اواكيبو لوجدت ان المياه الجارية غالباً ما تملأ زورقك بسمك الاسبرط دون ان يكلفك ذلك كثيراً من [illegible] المعروفة [illegible] سمك الاسبرط [illegible] برفقة سيدتها جايني باردن تتبعها عن كثب كلما سارت مسرعة على طريق الرفا.

وذات مرة سمعت جايني بعض السياح يعلقون على رؤيتهما سوياً. كان الوقت باكراً فوصلت اصواتهم الى مسمعها بوضوح. لم تدع جايني ما سمعته من تعليق يؤذي مشاعرها فلم تظهر اي ردة فعل في تصرفاتها تدل على ذلك. ولم يكن هناك اي

سبب يدعوهم الى الاعتقاد ان بمقدرتها سماع ما يقولون . . . ثم ان شاي مرة رشيقة متأنقة بينما كانت جايني طويلة الذراعين، شعرها مهمل بلون بني يميل الى الاحمر تحوزها اللباقة. وكان اولئك السياح يصفونها بالفزاعة في احاديثهم، مما آلمها جداً.

اعتادت جايني بعد ذلك الحادث، ان تفرص شعرها الى الوراء بعيداً عن وجهها. اعجب ذلك امها لانه يدل على الترتيب. لكن جايني كانت تعلم ان تصفيف شعرها على هذا النحو لم يكن ملائماً، ولكن ما العمل . . . فوجهها مليء بالزوايا والعظام . . . كانت عيناها وحدهما اجمل ما في وجهها، من اللون الكهرماني الغريب، مشعتين بشكل حجب الاهداب الكاحلة والمستديرة التي كانت تطوقهما.

تخلت جايني عن الاهتمام بمظهرها كتخليها عن السعي بأن تكون الفتاة المثالية التي تتمناها امها. ولا تلوم جايني امها اذا اعتبرتها ما يقارب اللغز. اما بالنسبة لشقيقتها التي تكبرها بثلاث سنوات، فهي جميلة وظريفة، وقد انجزت سنتين من دراسة الحقوق في جامعة اوكلاند. ومن الأكيد انها ستنال ما تطمح اليه. كانت بالطبع تجد ما يكفي من الوقت لاتمام دروسها والتمتع بحياة اجتماعية كاملة.

عندما تكون مي في البيت فالهاتف يرن باستمرار، لانها من النوع المرح الودي المتبهج والمليء بالحيوية. اما جايني فاحبت شقيقتها كثيراً، لكنها تفضل نمط عيش مختلفاً تماماً عن نمط عيش اختها.

كان الصمت سائداً خلال نزهة جايني. صوت طير البحر

كان وحده مسموعاً. وجايني تحب هذا الوقت من الصباح اذ تشعر ان آواكيو ملكها. كل شيء نقي وجامد تحت اشعة الشمس المشرقة حديثاً. وهذه الفترة من الصباح قصيرة لذلك لا يستيقظ الناس في آواكيو باكراً، وقلما السيارات الطريق، وتعلو اصوات الطيور المختلفة والمألوفة. لكن في هذه اللحظة كانت آواكيو ملكاً لجايني فقط، خطاها على الاسفلت هادئة، ورصيف الطريق غير مفروش بالاسمنت، مما جعل العشب الاخضر الطري يغطي قدمي جايني بنداوة غزيرة. كانت شاي تجري وراءها مرددة مواء مرتعشاً، ثم فجأة طار من وراء الشجيرات غراب، لمعت اشعة الشمس على منقاره الذهبي، الاملس والمحمل بالديدان. جمدت شاي في مكانها لفترة قصيرة، ثم قررت ان تتجاهل ما رأت. لفتت نظر جايني شجرة رائعة ترتفع في زاوية على ضفة النهر، ازهارها تتفتح بلونها القرمزي وتحيطها شجيرات الأوكاليبتس. تنهدت جايني لهذا المنظر الرائع. لقد مضت عليها ست سنوات في نيوزيلاندا لا تتذكر عن وطنها انكلترا الا القليل وتجد انه من الصعب العثور على اي مكان آخر يوازي جمال آواكيو. بينما كانت امها تتشوق لمكان تكون فيه المناظر الطبيعية اكثر هدوءاً ونعمة.

فكرت جايني ان نورث لاند ابعد ما تكون عن الهدوء . . . فمناظرها تتغير كل عدة اميال . . . من العشب الاخضر الخصب والشجر الانكليزي، الى المرتفعات الصخرية المكسوة بالغابات المطرية . . . ومن القمم البركانية الملساء الى بقايا المقذوفات البركانية المتموجة والمتآكلة. وكان البحر في كل مكان

لا يبعد أبداً عن هذا الساحل الشرقي ببراكينه وجزره وشبه جزره، ومائه الأزرق المتلألئ، وشواطئه البيضاء الذهبية. أحبته جانيت حباً عميقاً يعجز الكلام عن وصفه. كان حوض الزورق يشبه بركة مستديرة من الماء البني الأخضر، على رأسه يسقط كالشلال نهر صغير من فوق سلسلة من الصخور لتشكل حدود التيار المائي. عصف الهواء من الجهة الأخرى حيث الأشجار الاستوائية وجلب معه أخيراً النهر ليصب في البحر بعد مسافة خمسة أميال.

كان يزور أواكيبو الكثير من السياح لأنها منطقة رائعة الجمال وفيها مناظر تاريخية ومناخ شبه استوائي حيث يتوفر حامض الليمون وفاكهة الكيوي وغيرها من بساتين الفاكهة وأسواق الزهور. فاذا كنت في رحلة في يختك متجهاً نحو الشمال تجد البنزين والماء متوفرين على رصيف المرفأ بكثرة ويقع مخزن البقالة على حافة الماء تماماً.

المخزن ما زال مغلقاً في هذه الساعة. وكان يسمع ترنيم رجالي قادم من بيت الناظور وراء دار وورن مما يدل على ان عائلة اليليس قد استيقظت من النوم. لقد أصبحت دار وورن متحفاً الآن وباتت الحدائق التي تحيطها مكاناً يتنزه فيه السياح ليتمتعوا بمنظر الأزهار والنباتات التي يرجع أصلها الى العهد الفيكتوري. كان المكان جميلاً لكن تمدنه لم يرق لذوق جانيت فأخذت تتأمل طيور الطاووس التي تتدفع بخفة ورقة فوق العشب الأخضر لكنها كانت تفضل طيور البط التي تسبح في الجدول وتغوص باحثة عن فتات الخبز. صحيح ان البط طير

هادئ وشائع لكنه نشيط وحيوي الى درجة.

يبدو ان هناك يختاً جديداً في المرفأ خلال الليل... كان موصولاً بالرصيف مما يدل على انه من عمل بحار ماهر. وربما كان ريه توموسون الذي غالباً ما كان يتباهى بقدرته على إرساء مركبه حتى لو كان ... شبه نائم. لقد ابحر في مركبه القديم ليعود آخر النهار بكمية من السمك للبيع فهكذا يكسب عيشه.

تأملت الهرة شاي طيور البحر باهتمام هادئ، وهي جاثمة فوق ركام. ابتسمت جانيت ثم زودت صنارتها بطعم ورمتها بعيداً عن طرف الرصيف. وتفقد شاي تحفظها لرؤية أول سمكة تظهر على سطح الماء... وربما لان سمك الاسبرط طعامها المفضل فرؤيته تحولها الى هرة عادية وتفقد غطرستها كارستقراطية صعبة الارضاء. لكن الحظ لم يحالفها اليوم. لم تظهر اي سمكة بعد وجلست جانيت بارتياح مدلية ساقيها الطويلتين على الحافة. كانت عيناها تبرقان تحت حاجبين اسودين، وتتأمل المرتفع المواجه لحوض الماء بامعان. يغمرها شعور بالراحة والطمأنينة. اغلقت عينيها ورفعت وجهها نحو الشمس. وعندما فتحتهما من جديد كانت شاي قد اختفت فوقفت جانيت وراحت تنظر حولها بقلق. ان شاي هرة شديدة الفضول. ولمحت جانيت اثر براثنها على الندى فوق غرفة القيادة في المركب الكبير الذي اتى المرفأ منذ فترة. سارت جانيت بخفة شديدة فوق الرصيف. ركعت حتى باتت بمستوى المركب ونادت شاي بصوت منخفض لكنها لم تلق اي جواب.

قالت متذمرة:

«اللعنة عليك أيتها الهرة».

ثم نادت من جديد لكن دون جدوى. درست جايني الوضع وهي جالسة على كاحليها... لم يكن مرادها إيقاظ البحارة في المركب وذلك بالصياح على شاي ولكن من الممكن أن شاي دخلت غرفهم وايقظتهم بالسير فوق وجوههم، فهذه واحدة من عاداتها السيئة... لقد دخلت المركب بدون شك فخطواتها تركت آثاراً واضحة على الأرض. غمرت الحيرة جايني وهي تحدق بالمركب. ها هي هرتها شاي قد وضعتها في مأزق قد يكون محرجاً. ثم سمعت جايني صوتاً رجالياً أتى ورفعتها وانفتح باب الحجرة على مصراعيه وخرج منه شاب أشقر طويل القامة ووسيم، حاملاً شاي في ذراعيه. وبينما كانت جايني تنظر بتعجب راحت شاي تربت بمخلبها على أذن الشاب ثم قفزت من بين ذراعيه على الرصيف مطلقة مواء يدل على الابتهاج. اغتاظت جايني بينما أطلق الشاب ضحكة شبه هازلة ثم قال:

«الهر حيوان لا يعرف الأخلاق ولا المسؤولية. هل من عادتها ايقاظك بالمشي على وجهك؟».

«إني آسفة...».

قالت جايني وهي تحدق بغضب في هرتها شاي التي كانت تغسل وجهها غير مبالية بما يجري وأضافت:

«إني آسفة... شاي قطة شابة فضولية».

فقال بوقار:

«إنها ميزة خطرة لكنها أنثوية».

كانت عيناه خضراوين تعلوهما أهداب طويلة. بدت عيناه

تضحكان لها وكأنهما تشاركانها المزاح.

شعرت جايني بإحساس غريب، كان مزيجاً من الانزعاج والسرور. لقد اعتادت رؤية رجال عراة الصدر من قبل لكن مشاعرها كامرأة تتأثر لأول مرة. كان من الصعب عليها أن تكف عن التحديق في هاتين الكتفين العريضتين السمراوين وهذا الشعر الذي يغطي صدره. وهو واقف يبتسم لها. شعرت جايني بقلق وخجل كأنه أصبح يشكل خطراً عليها ولم يعد ذلك الرجل الظريف الذي أظهر لطفاً ودماثة رغم الطريقة التي استيقظ بها.

قالت جايني مصطنعة الهدوء قدر الإمكان:

«كل هذا لا يهم شاي... فلا أحد يستطيع أن يجردها من رزانتها».

«وبينما يبدو أنه من السهل احراجك فمن تكونين الآنسة...؟».

«جايني يارودن».

ابتسم ثم مد يده للتحية وحين انحنت جايني لترد التحية أمسك بيدها وجذبها إلى ركن المركب.

تلهفت جايني لكنها أخفت دهشتها:

«أنا ليو كاريغفورد وبما أن هرتك أيقظتني من النوم فإنك مدينة لي ببعض من وقتك».

اعترضت جايني على مضض:

«من المفروض أن أتابع صيد السمك».

لم يكن مرادها البقاء معه في ركن المركب ولم تكن ترغب في

الرحيل ايضاً.

بات الوضع غريباً بالنسبة الى جايني التي لم تكن ترحب برفقة الجنس الآخر.

ادار رأسه تجاه شاي وعندما اومأت جايني رأسها موافقة قال بهدوء:

«هذا ما تستحقه. انتظري لحظة...».

دامت اللحظة اكثر من دقيقة. كانت جايني تتأمل مقعد المركب وفي عينيها علامة ذهول، واحساس غريب يقلقها. لقد تملكتها ارادة اقوى منها. لم يرق لها هذا الاحساس، خاصة انه كان واضحاً من خلال ردة فعلها.

كان ثيو كارينغتون رائعاً وذا ثقة بنفسه ومدركاً لقوته. هذا ما ينتج عن كون الشخص وسيماً... فكرت جايني رغم ادراكها بأنها على خطأ. فلو لم يكن ثيو كارينغتون وسيماً فثقته في نفسه تبقى ذاتها. لان ذلك يرجع لشخصية الانسان. يبدو ان جايني تفتقد الشخصية والجمال معاً. وبينما كانت تفكر في حسرتها شردت في التفكير بأختها بيني. ان بيني تماثل السيد كارينغتون في حسن المظهر وقوة الشخصية. غير ان جايني تحمل لبيني الكثير من المودة ويبدو ان شعورها يختلف تماماً تجاه ثيو...

عندما ظهر ثيو من جديد كان حاملاً فنجانين من القهوة وقد ارتدى قميصاً اخضر. شربت جايني قهوتها وهي ترمقه بنظراتها بين حين وآخر.

مازال كل شيء هادئاً. اشعة الشمس تلمع فوق مياه البحر الخضراء فشعرت جايني بالدفء. كان هناك تغريد طير قادم من

شجرة الدراق في حديقة ووزن. تساءلت جايني اذ كان عليها ان تبدأ الحديث بشكل او بآخر. فألقت نظرة سريعة على ثيو. كان يبتسم ولكن في ابتسامته شيء من السخرية وكأنه يعلم بما يجول في خاطرها. ابتسامته قاسية نوعاً ما. رغم معرفة جايني الضعيفة من طبع الرجال، كانت ترى بوضوح من خلال عينيها البريئتين ان ثيو يعتبرها مجرد تسلية. ساد صمت محرج بينهما خاصة ان جايني تشعر بوجود ثيو بقوة وكان هذا الشعور غريباً لا تفسير له، وعجزت جايني عن مقاومته، ثم لتضع حداً لهذا الصمت سألت جايني اول سؤال طرأ على بالها:

«من اين انت؟».

«من اوكلاند».

«وهل كانت الرحلة مريحة؟».

«لا بأس. لا اعلم بعد، كم سيطول بقائي هنا».

وافتر ثغره عن اسنان بيضاء تلمع وسط وجهه البرونزي. احمر وجه جايني خجلاً. فرفع رأسها بيده قائلاً:

«انك خجولة وحساسة جداً يا جايني باردن. كم لك من العمر؟».

زاد هذا السؤال من شعورها بالنقص اكثر من قبل وقالت بغضب:

«ثمانية عشر عاماً».

ثم اضافت:

«ثمانية عشر فقط».

ابتسم بلؤم وقال:

«احمد الله اني لم اعد في سن المراهقة. وماذا تفعلين، هل تشتغلين ام ما زلت في عطلة الصيف؟».
«انهيت دروسي منذ يومين».
«والآن؟».
«لا اعلم».
«اي مهنة. . . ؟».
«لا. اني لا اتقن اية مهنة. فانا الغبية في عائلتي».
رفع حاجبيه واستطرد قائلاً:
«اخبريني عن هذه العائلة. هل انت انكليزية؟».
اجابت مترددة وهي تنظر اليه نظرة حائرة:
«اعتقد ذلك. يمكنك القول اني من اصل انكليزي».
لم يكن ذلك الرجل الذي يرغب في التحدث الى فتاة في سن المراهقة. كم له من العمر؟ ٢٩ ربما ٣٠. تبدو عليه الخبرة الواسعة وكأنه عاش حياة مكتظة بالحوادث. كان ينظر اليها بحذر منتظراً منها ان تقول شيئاً.
كان التحدث اليه سهلاً بنظر جاني، فهي عادة متحفظة جداً الى درجة الخجل لكن الحديث عن اهلها ازال توترها نوعاً وبات صوتها دافئاً ورقيقاً.
ورشفت آخر نقطة من قهوتها وهي تقول:
«اتينا الى هنا منذ ست سنوات. بعدما تقاعد ابي من الجيش كانت صحته سيئة فاقترح عليه الطبيب تغيير المناخ. وبما ان عمتي كانت تعيش في نيوزيلاندا شجعتنا على الهجرة. لا اعتقد ان احداً منا آسف على المجيء الى هنا».

سألها ثيو:
«من تعنين بقولك. . . احد منا؟».
«اهلي، اختي بيني التي تكبرني بثلاث سنوات واخي بول. بول في الثالثة عشرة من عمره، لا اعلم بالضبط ما هو شعوره. ففي الاشهر الثلاثة الماضية تضاعف نموه وخشن صوته وظهرت على وجهه اوائل لحيته».
ابتسم ثيو وقال:
«سوف يأسف بول على ذلك. وما هي مهنة بيني؟».
«ما زالت تكمل دراسة الحقوق في جامعة اوكلاند».
ظهرت عليه علامة التعجب ثم قال:
«يبدو انها آنسة ذكية حقاً».
«وجميلة ايضاً».
واضافت جاني وقد اغضبتها سخرية صوته:
«بيني تمارس عرض الازياء ايضاً في وقت الفراغ».
نظر اليها ثيو بشفقة قائلاً:
«يبدو لي من صوتك انك تشعرين بشيء من الحسد. الا تنظرين الى نفسك في المرآة يا جاني؟».
بدا اسمها جاني غريباً على شفتيه فلقد اعتادت سماع اسمها جاني. كانت المجاملة خالية من الصدق وخيبة الأمل. من المؤكد ان ثيو يعتبرها غبية. وضعت فنجان القهوة من يدها ثم همت بالوقوف قائلة:
«لدي ما هو اهم من التأمل في المرآة. ثم علي ان ارحل فاهلي يتساءلون الآن عن سبب غيابي. شكراً على القهوة».

ابتسم ليو باستهزاء ورد تحية الوداع لا مبالياً. انطلقت جاني من طريقة توديعه لانها عاجزة عن تقليدها.

«الم تحصل على اي سمك يا عزيزي؟».

«كلا».

نظرت اليها جوي باودن لكنها لم تعلق على الموضوع.

شعرت جاني بارتباك امها. كيف لها ان تتصرف مثل اختها بتي وهما تختلفان تماماً. ان ما تتوقعه منها امها تعتبره جاني بعيداً عن العدالة. وتعتقد جوي باودن ان جاني يمكنها ان تكون تلك الفتاة المرحة، ذات الشخصية المنطلقة تماماً مثل اختها... اذا حاولت مع قليل من الجهد، رغم اختلاف منظرها الخارجي عن بتي. ان جاني طويلة القامة بينما بتي صغيرة وذات قامة متناسقة. تعلم جاني انها تفقد الطبع والشخصية كاختها.

وبينما جاني تغسل يديها اخذت تتساءل عن مستقبلها. كانت قد غيرت ثيابها وارتدت فستاناً امرتها امها على ان ترتديه داخل البيت. وقالت جاني لنفسها: المشكلة اني لا ارغب في العمل. اود لو استطيع التنزه والصيد طيلة النهار فلو كنت رجلاً مثلاً لاخترت العمل في احد المراكب الضخمة التي ترسو في المرفأ باستمرار. لكنه امر مستحيل ان يقبل به اهلي. انهم تقليديون. لقد ادهشهم قرار بتي بأن تصبح محامية لكنهم سرعان ما قبلوا بالواقع بعد ايام من النقاشات. فمن الصعب الوقوف في طريق بتي متى قررت مشيئتها.

اما بول فقرر منذ كان عمره ثلاث سنوات ان يصبح طبيباً وما زال قراره جارياً. واضح ان لديه الموهبة الطبية. والدليل

على ذلك كان اهتمامه بالحيوانات ومداواتها في حالة المرض. اما جاني فليس لديها اي موهبة. ان فكرة بقاء جاني في البيت تعجب امها وحدها بينما تعتبرها جاني فكرة بلا اي معنى او هدف. ربما اذا اشتغلت ستكره العمل لكنها تكون على الاقل معتمدة على نفسها. والاعتماد على النفس ارادة كل فتاة في نيوزيلاندا. اذا اشتغلت سيكون العمل في متجر لكنها تكره البقاء في الداخل طيلة النهار. لكن ذلك افضل من كونها معلمة في مدرسة او ممرضة في مستشفى كما اقترح والدها. التمريض والتعليم مهنتان لم تكن تملك جاني القوة الكافية لممارستهما.

خلال تناول القهوة قال والد جاني:

«ارى ان يختاً جديداً رسى في المرفأ».

كان يتابع ما يحصل في ركن المراكب بواسطة منظار، وهذه عادة يمارسها في الصباح والمساء وقد ادت الى مساعدة السكان احياناً وذلك بسبب تفقده لبعض المراكب التي كان من المتوقع ان تكون قد رجعت. ادى ذلك الى تبليغ فرقة النجاة وبدء البحث عن المراكب المفقودة.

واعتبر الكولونيل والد جاني رئيس المرفأ الفخري مما اسعده ومنحه مكانة في المنطقة.

وتابع قوله وهو ينظر الى ابنته:

«انها سفينة سياحية».

ابتسمت جاني وقالت:

«واسمه ليو كارينغتون. انه من اوكلاند. لم يمانع في الطريقة التي ايقظته بها شاي عندما مشت على وجهه».

سألت أمها:

«هل هو لطيف؟».

وبذلك تعني هل هو في مستوى يؤهله لزيارتهم؟ تذكره جايلي هذا السؤال الذي تطرحه أمها كلما أرادت أن تصف شخصاً لكنها تعلمت مع الزمن أن تخفي غضبها. ليس والداها من النوع المتكبر لكنهما متمسكان ببعض المبادئ، غير مباليين بشعور أولادهم.

رداً على سؤال أمها هزت جايلي كتفيها وقالت:

«لا أعتقد أن وصفه باللطافة يعتبر مناسباً. لكن إذا كنت تعنين هل هو ملائم لزيارتنا، فالجواب نعم. يبدو من كلامه أنه متعلم. لكن مركبه لم يكلف قرشاً».

أجابت جوي بهدوء:

«[illegible] يا [illegible]

[illegible]

قالت أمها.

قال أبوها متفحصاً زكي المركب:

«يبدو أنه من تصميم حداد.

يمكن معرفة هذا الأمر بسهولة فالسفينة المصممة على يد حداد تعوم على الماء بطريقة رائعة. وهذا القوس ...».

وراح يتحدث عن أمور تقنية يشاركه بفهمها بول فقط. كانت جايلي تأكل قطعة من الخبز المحمص. كانت السفينة بالنسبة إليها جزءاً من لوحة رائعة الجمال. مما ترك في قلبها ألماً مجهولاً. إنه الشعور نفسه الذي حاول أبوها أن يعبر عنه بعيون

فنية لكنه وبول منسجمان كلياً في عالم يعرفان وحدهما لغته. أما هي فتفضل ألا تترك التفكير بـ«تورورو» وهي كلمة بلغة الماوري، سكان نيوزيلاندا الأصليين، تعني الفطرس المتجول وهذا اسم السفينة. لكن وجه نيو بجماله وسكره كان لا يفارق خيالها. لقد منعها حتى من التفكير في مستقبلها القاتم الذي كانت تنوي أن تعطيه مزيداً من التفكير. وبدلاً من ذلك، وجدت نفسها تتخيل أنها تملك سفينة مثل تورورو تعبر فيها البحر إلى أي مكان تشاء غير مبالية بكسب عيشها. من المؤكد أن نيو كاريستون يتقاضى مدخولاً لكنه يملك الحرية أيضاً. هذا ما تحسده عليه جايلي. أما هي فعليها أن ترتب غرف النوم وتنفض الغبار وتنشر الغسيل. ارتفعت حرارة الطقس حتى وصلت تقريباً إلى الدرجة نفسها التي تصل إليها في شهر شباط في منتصف فصل الصيف. [illegible] في [illegible] على [illegible] قريب لتتمون بالوقود والمؤن الأخرى. وترافقت جايلي من تقليم الورود الجافة لتلقي نظرة على النساء السمراوات اللواتي يجلن عرض البضائع لشراء حاجاتهن. أما الأولاد فخلقوا جواً من الفوضى وكانوا يرمون بعضاً من كرز البوطة لطير البط الذي تقبلها بشكر بينما رفضها الطاووس بازدراء. راقبت جايلي جو العطلة هذا بفوضاه وضبطه وهي التي كانت تتلهف أيضاً لصمت الصباح وهدوئه.

«جايلي!».

جعلها تبدو انها تتابع تقليم الورود الجافة.

«جاني اين بول؟».

«انه في البركة مع ابيه».

«و. . .».

ساد الصمت بضع لحظات ثم ظهرت امها على الشرفة وهي ترفع شعرها عن وجهها:

«كنت اريد منه جز العشب في الحديقة خلف البيت».

قالت باضطراب:

«ربما من الأفضل تأجيل هذا العمل لوقت تكون فيه الحرارة الطف».

اومأت جاني برأسها. ما زالت امها تجد الصيف في آواكيو غير محتمل خاصة في وقت كهذا لانها تريد ترتيب كل شيء قبل رجوع بيني الى البيت. من المنتظر ان تعود بيني في اليوم الذي يسبق عيد الميلاد وذلك بعد اسبوعين من التاريخ الحالي لكن جوي تحتاج الوقت كله لاعداد الترتيبات اللازمة، وفي المستوى الذي تريده. شعرت جاني بشعور بالشفقة تجاه امها فاتجهت نحوها ووضعت ذراعيها على كتفيها ثم قالت:

«اجلسي انت وسأحضر لك شراباً من عصير الليمون الحامض. يبدو عليك قلة النوم ما بك؟».

ابتسمت جوي واجابت:

«هل يبدو علي التعب؟ لقد مرت علي عدة ليال بيضاء. اريد اعداد كل الترتيبات اللازمة قبل عيد الميلاد. جاني! استحضرين حفلة نادي الدراما بمناسبة عيد الميلاد؟».

اجابت جاني محاولة تجنب اقلاق امها:

«امي، تعرفين جيداً ان الحفلات لا تروق لي».

«عزيزتي، كيف لك ان تعرفي ذلك وانت ترفضين حضور اية حفلة؟ كيف لك ان تعلمي الامتيازات الاجتماعية وانت لا تمارسينها؟ كيف تعتقدين ان بيني اكتسبت الرزانة؟ لم يكن ذلك من المكوث في البيت والمطالعة او من صيد السمك».

ابتسمت جاني وقالت:

«ولدت بيني ومعها كل الامتيازات الاجتماعية. فنحن نختلف تماماً كاختلاف الوردة عن زهرة [illegible]».

قالت جوي:

«ولزهرة [illegible] سحرها الخاص».

اجابت جاني:

«ربما اخطأت في التشبيه الآن».

ثم اضافت قائلة:

«انني كعشبة على حافة الطريق، طويلة، هزيلة ومنكمشة على نفسها. لا تحسن الزينة وليست لها اية فائدة. احتاج لكسب المال. لقد طلب مني السيد هارفي قطف الفراولة فهل تسمحين لي؟».

«اعتقد ذلك. . .».

تنهدت امها بصوت منخفض ورفعت عينيها لتنظر الى ابنتها ثم قالت:

«اذا قبلت بحضور حفلة النادي معنا».

ضحكت جاني مقدرة قبول امها وقالت:

«حسناً قالت الزوجة، سأحضر لك الشراب الآن».

وعندما أتت جايني بالشراب، دخل ابوها الغرفة وأخوها بول وفي صحبتهما ثيو كارينغتون مرتدياً سروالاً قصيراً وقميصاً علوياً. توقعت جايني ان ردة فعل امها لرؤية ثيو على هذا النحو ستكون سلبية. لكن لشدة دهشتها فان امها وقعت تحت سحر ثيو تماماً كما حصل لها هي عندما تقابلا لأول مرة. كان ثيو مسيطراً على الوضع كلياً. كان يلقي بنظراته الساحرة على جايني مما اثار غضبها اما امها فكانت سعيدة بوجوده فرحبت به كل الترحيب.

سألت امها:

«... وعلى جايني، هل تعرفان بعضكما؟».

اجاب ثيو مداعباً الغيرة التي كانت تدور حوله:

«اجل وقد تعرفت على شاني ايضاً».

قالت جوي:

«شاني لا تعرف الخجل. انها غير ابنتي الأخرى بيني.

وآه... عالمة المستقبل».

كان صوته يدل على الاعجاب بينما كانت نظراته هازئة. شعرت جايني في نفسها انه لا يعجبها ابداً. فهو متكبر شديد الثقة بنفسه، يتصرف وكأنه في بيته، احست ان عليها حماية اهلها منه، انتظرت اليه بغضب متحدية اي تعليق يجرؤ على القائه فيما يتعلق بمستقبل بيني او اي موضوع آخر.

قالت جوي مظهرة فخرها بابنتها:

«اجل فان بيني مجتهدة جداً».

واضافت:

«من المؤكد ان امامها مستقبلاً زاهراً».

اجاب ابن ياوفان باستهزاء:

«المؤمنين بالنساء البارعات؟».

«لكن بيني قررت مستقبلها منذ زمن ولم تدع احداً يقف في طريقها. بالاضافة الى ذلك فانها جميلة ايضاً».

اجاب ثيو بأدب:

«يبدو انها فتاة مثالية».

كانت جايني تراقب اباها يقدم الشراب. وجلس الجميع يتبادلون الاحاديث المتنوعة حيث كان على جوي ان تقرر ما اذا كان ثيو كارينغتون شخصاً محترماً.

كان من السهل ملاحظة الاعجاب الذي شعر به بول تجاه ثيو، ذلك الرجل الاشقر الطويل القامة المطلع على احدث الآراء. فجلس الى جانبه محدقاً به طوال الوقت. كان الحديث يتسم عقلاً. قررت جايني مغادرة الغرفة وبينما كانت تحاول الرحيل اوقفتها امها قائلة:

«لا تذهبي يا عزيزتي. السيد كارينغتون لا يمانع ارتدائك ثياب العمل».

كانت جايني ترتدي سروالاً قصيراً جداً، وكانت تأمل ان يكون واضحاً ان قصر السروال الذي ترتديه يعود الى كونه قديماً وليس للفت النظر. القى ثيو نظرة سريعة على ساقي جايني السمراوين ورفع حاجبيه عجباً:

«طبعاً لا امانع على الاطلاق».

كانت السخرية في صوته واضحة الى درجة جعلت جابني تتساءل كيف ان والديها يجهلان الأمر. كان ثيو مستلقياً على كرسي، يتنعم بضيافة اهلها والصداقة التي منحوه اياها بينما كان هو يسخر منهم طوال الوقت.

قالت جابني بصوت خافت:

«كنت اود الاستعلام عن طعام الغداء».

ولم تبال جابني اذا كان ما قالته يدل على قلة ادب ولباقة. استطردت امها قائلة:

«الغداء جاهز يا عزيزتي. هل تتفضل بمشاركتنا الطعام يا سيد كاريتغتون؟».

وبهذه الدعوة عبرت جيري عن قبولها لثيو.

وافق ثيو على الدعوة بلطف ودون اي تردد.

سألت جيري:

«وكم سيدوم بقاؤك هنا؟».

اجاب بلطف وكانت عيناه تحدقان بجابني:

«لم اقرر بعد. ربما اذا اعجبني المكان هنا سأمكث الصيف كله. والا سأرحل قريباً».

ضغطت جابني على شفتيها. ربما كان ثيو كاريتغتون يبدو متشرداً لكنه بدون شك ذو شخصية متصلبة تعجب كل من يصادفه.

كان سحره في ملامح وجهه القاسية، في نظرته الباردة المتكبرة في فمه الخادع الذي يدل على النكتة والقسوة التي لا ترحم. لا شك ان له تفرداً على الآخرين.

القت جيري نظرة نحو زوجها وفي ذهنها سؤال تبحث عن طرحه. قال لين محاولاً استجابة نداء زوجته:

«هنالك الكثير من الأماكن للاستطلاع. فاذا كنت تحب الأماكن التاريخية لديك دار ووري تجد خلفها نموذجاً لقرية وسكة القطار البخاري التي تمر وسط اشجار البستان ومجموعة من الآلات القديمة الموجودة هناك».

أضاف بول بخجل:

«هناك الصيد كذلك. نذهب انا وجابني لاصطياد السمك عند الخليج. الآخرون يصطادون سمك المرلين على بعد قصير من المرفأ حتى لو ان الوقت لم يحن بعد لصيد السمك الكبير».

قال ثيو كاريتغتون:

«صيد السمك هنا سهل جداً. فللصياد كل الأفضلية. وهذا يختلف في بلاد الغربة».

وبعد الحاح واصرار من قبل بول اخبرهم ثيو قصة صيد التمساح في تايمور وهي جزيرة تابعة لاندونيسيا. وروى ثيو القصة هذه ببراعة مستعملاً عبارات قصيرة لكنها اغنى في التعبير من الصفحات العديدة. استمعت جابني لهذه القصة باعجاب شديد. لم يظهر ثيو اي تواضع مصطنع حيال الدور الذي لعبه في القضاء على الحيوان. كما انه لم يتباه ايضاً. حتى انه وصف للرجلين الآخرين كان حياً. وعندما انهى ثيو حديثه اومأ بول برأسه موافقاً. لا شك ان هذه القصة حقيقية، تبعد عن الخرافة بعداً شاسعاً.

اثرت القصة على والدي جابني وقبولها لثيو بات واضحاً

برغم قلة ثقتها بأي شخص مثله يطوف البحار بدون تأمين دخل ثابت. فالبلوت هم الذين لا يقدرون قيمة ليو. قيمته الموجودة في ثقته بنفسه. يمكن ان يشتبه الناس به، لكونه عطراً او ان يشك البعض في صحة سحره الطاري، لكنه بدون شك يلفت النظر باستمرار. فاضافة الى صفاته الطبيعية العديدة كحسن منظره مثلاً يملك كفاءة يرتاح اليها الآخرون.

انه من النوع الذي يحتاج اليه الآخرون. والقت جانين نظرة نحوه فالتقت نظراتهما. احمر وجه جانين خجلاً مما اثار غضبها. وفكرت ان ليو كارينغتون من نوع الرجال الذين لا يبالون بترك كل من يرتبط بهم بدون اي شفقة. عليها ان تتذكر ذلك اذا لزم الأمر يوماً. . .

٢ - حفلة نادي الدراما

قبل العشاء بقليل كان لين جالساً قرب النافذة يراقب السفن في المرفأ:

«يبدو ان السيد كارينغتون ارسى سفينته في موضع السيد هاري توردزه».

رفعت جوي نظرها نحو زوجها واجابت:

«اهذا صحيح؟ ترى كم سيدوم بقاؤه في اواكيوا؟».

«هو نفسه لا يعلم. امر مؤسف انه يعيش حياة كهذه بدون اي هدف. ربما له غاية شخصية تمنعه من الاستقرار».

سمعت جانين نظرية ابيها، فانه مثلها عاجز عن تفسير كيف ان رجلاً كبيراً له عزيمة قوية وادراك للمستقبل، يكتفي بالتشرد

من بلد الى آخر بدون اي هدف معين.

ودلت احاديثه عن معرفة عميقة لبلدان عديدة مما يوحي ان عمره اكثر من ثلاثين سنة كما يبدو، او انه بدأ حياة السفر في سن مبكرة.

«ربما يا عزيزتي. يجدر الذكر انه رجل ذكي وطيب».

واطلق زوجها ضحكة خافتة:

«اعتقد انه رأي توافق عليه معظم النساء».

ولشدة دهشتها لاحظت جاني وجه امها يتحول من لونه الطبيعي الاحمر، ثم ترتب شعرها بطريقة عصبية.

«انه رجل بكل ما في الكلمة من معنى».

واضافت قائلة:

«لا شك ان بول يعتبره مثله الاعلى».

«يستحق ذلك. فبول يحتاج لتأثير شخص كثير مولع بالطبيعة والرياضة بدل تأثيره المستمر بلويس بلستورد».

لم يسأل احد جاني رأيها بجو كارينشتون مما اسعدها. لقد قررت ان تبعده من ذهنها. وفي صباح اليوم التالي ورغم اصرار شاي، رفضت جاني بحزم الذهاب لصيد سمك الاسبرط.

لكن بينما جاني تتبضع في سوق المدينة، كان لي اول شخص التقى به فور خروجها من السيارة. كان واقفاً امام حانوت للتحف الغريبة، يتأملها بنظرة تهكمية. والتفت نحوها فور خروجها من السيارة وبادرها الحديث قائلاً:

«بضاعة تافهة تصلح للنفاية. اتعتقدين ان هناك من يشتري مثل هذه البضاعة؟».

قالت جاني نظرة الى الحانوت راجية الا يكون تعليقه قد وصل لآذان السيدتين العجوزين اللتين تملكان الحانوت.

«نعم. لكنه عدد قليل من الناس».

اضاف بلؤم:

«وارتفعت مكانة الشعب النيوزيلاندي في نظري».

ثم استطرد قائلاً:

«لا بأس بهذه المنطقة كمركز للتبضع».

ضحكت جاني وسألته:

«هل اشتريت بعض البطاقات البريدية؟».

«لا فما من احد لارسالها له».

«حتى امك؟».

«لا احب هذا النوع من المراسلة».

كانت الشمس تلمع من خلال شعره الذهبي واحست جاني بجاذبية قوية نحوه، وشعرت في اعماقها ان هذا الاحساس بات يتخطى مجرد الجاذبية الخارجية. كانت عاجزة عن الفرار من هذا الوضع، وحمدت القدر ان نظارات الشمس التي كانت ترتديها قد حجبت شعورها الواضح في عينيها.

«ولا اية صديقة مثلاً؟ او اية ارتباطات ودية؟».

اطلق ضحكة خفيفة واجاب:

«ليس لدي اية صديقة، ورحيلي عادة يسعد اية فتاة ارتبط بها ودياً. معاملتي للفتيات سيئة جداً».

«يبدو انك كبقية البحارة. يوقعون الفتاة بحبهم ثم يتركونها بدون رحمة».

أجاب ثيو وقد تلاشى عن وجهه المرح وبدت عليه القسوة:

«تماماً. معظم النساء يفضلن حياة مستقرة، منزلاً وزوجاً يعود كل مساء. تسعى النساء وراء جذور وأنا مجرد من أي جذور».

«ربما كانت مسألة وقت. أعني الرغبة بالاستقرار. حالياً لا أفكر في أي شيء آخر سوى خوض المجهول واكتشاف العالم».

رفع حاجبه الكاحل اللون وقال:

«يا لك من رومنطيقية يا جايلي. جملتك رائعة».

«تلقيت الكثير من الألقاب سابقاً، من ألطفها لقب رومنطيقية، خاصة انه وصف منك».

ظهرت على وجهه ابتسامة:

«حسناً اذن لن اقول المزيد. الى اين تذهبين؟».

«الى حانوت البقالة. اذا شئت الانتظار اوصلك الى المرفأ».

«اشكر لطفك. الحقيقة اني عاجز عن حمل كل هذه البضائع».

وبعد ان تم الاتفاق على اللقاء قرب السيارة، ذهب كل منهما في سبيله. ثيو الى مركز البريد وجايلي الى حانوت البقالة.

اختارت الآنسة باودن هذا الحانوت لشراء بضاعتها لانها تفضله على الآخرين. فهو يضم فعالية المخازن الكبرى والخدمة الشخصية المتوفرة في الحانوت الصغير. ويبدو ان ثيو كاريغتون قد اختار الحانوت نفسه كما اكتشفت جايلي من خلال حديثها مع البائعة الشابة.

«رجل رائع الذي كنت تتحدثين اليه، هل تعرفينه؟».

«بالكاد».

تكره جايلي الثرثرة لكن جانيس ودودة ولا تقصد اي شيء. فاستمرت قائلة:

«جاء البارحة صباحاً في يخت رائع. دعاه ابي لتناول طعام الغداء برفقتنا».

قالت جانيس بحسد:

«يا لك من فتاة محظوظة».

ثم استمرت تقول:

«عندما دخل الحانوت تضاعفت دقات قلبي. أرجو ان يدوم بقاؤه هنا لمدة طويلة. احب امثاله من العمالقة الشقر».

«انتبهي الا يسمعك ايريك».

«انسى كل شيء بيني وبين ايريك. لست على استعداد للاستقرار بعد. ثم اني لا ارغب بقضاء بقية حياتي احلب البقر».

ابتسمت جايلي ولم ترد. كانت تعلم ان جانيس ابنة مزارع وتملك الكفاءة الكاملة لتكون زوجة مزارع، رغم ما يبدو عليها من فتنة وتكلف.

«ما اسم صديقك؟».

«ثيو كاريغتون».

«هل يسعى وراء عمل؟ يحتاج ابي لرجال يعاونونه في جمع التين».

«ما زال الوقت باكراً؟».

«هذه هي المشكلة. مر علينا فصل ربيع حار مما جعل التين

جاهزاً الآن. لكن لا يوجد عدد كافٍ من التلامذة للعمل في هذا الحين كما هي العادة».

«حسناً، لقد سأسأل تيو. أم تريدين طرح السؤال بنفسك».

«لا، شكراً، ربما ظنني وقحة واعتبر صناعة التين دون مقامه».

لكن تيو نيوزيلاندي وهذا يعني انه لا يرفض الأشغال التي تتطلب مجهوداً جسدياً. اقترحت عليه جايني هذه الفكرة فأجاب بعد دقائق من التفكير:

«فكرة جيدة. أرحب بالعمل. من علمك قيادة السيارة؟».

«أبي. لماذا؟».

«حسناً فعل، فأنت تقودين بهدوء أي ارتباك وبراحة تامة وسيطرة كاملة. أمر نادر لفتاة، وخاصة في عمرك».

«هل انت متحيز لجنس الرجال؟».

«عليك ان تكتشفي ذلك بنفسك».

قال ذلك وكأنه يلمح عن رغبته في البقاء لمدة طويلة. وولد في قلب جايني شعور مجهول ووجدت نفسها تبتسم لغير سبب.

«هل ستدخل لتناول الشراب أم عليك ان تذهب مباشرة الى حجرتك؟».

«الى حجرتي. فلدي أعمال كثيرة».

رمقته جايني بنظرة تساؤل لكنه تبين لها من خلال نظرته الجامدة المتفحصة انه لن يرحب بأي سؤال اضافي. فاكتفت بالصمت والتركيز على قيادة السيارة.

استقر فصل الصيف بحرارته وجفافه. وظمئت الأرض تحت أشعة الشمس النحاسية. وفي كل انحاء أوآكيير بدأت المضخات بالعمل. ظهر القلق على وجوه المزارعين ودار بينهم حديث عن موسم جفاف لم يتكرر منذ عشرين سنة.

كان تدفق السياح يكبر حتى بدا وكأن عددهم يفوق عدد السكان المقيمين. ويستمتعون بوقت سعيد حتى ولو أن البعض منهم لم يتوقع ان ترتفع الحرارة الى هذا الحد. وضعت جايني قبعة على رأسها لتحميه من الشمس وحجبت عينيها تحت نظارات شمسية وراحت تقطف ثمر الفريز. واكتسبت بشرتها لوناً أسمر جذاباً.

وقبل الميلاد بأسبوع نظم رجال الأعمال المحليون استعراضاً حضره الجميع. كانت هالة باوذن من منظمي هذا الاستعراض. وارتدت جايني فستاناً صيفياً وراحت تتنزه في ساحة المدينة.

وفي نزهتها مرت امامها طفلة في السنة الأولى من عمرها تعثرت خطاها وكانت على وشك ان تقع حين اسرعت جايني والتقطتها.

وسمعت صوتاً قادماً من خلفها.

«حسناً فعلت».

«تيو».

ابتسمت جايني لرؤيته. وفجأة لم تعد لزينة الميلاد والغبطة التي تنتشر حولها الأهمية نفسها.

قال تيو ممسكاً بذراعيها:

«بات لونك اسمر. تعالي رافقيني».

«كيف عملك في جمع التين؟».

«حار، جاف، وقاس. لكنني سعيد لتمرين جسدي من جديد. انا على وشك انهاء العمل. بقي يومان وينتهي الأمر».

«ترى كم سيدوم هذا الجفاف؟ ربما ستتساقط الامطار بدون توقف خلال شهري كانون الثاني وشباط».

«ارجو الا يحصل ذلك. قررت البقاء حتى آذار».

«صحيح؟».

فوجئت جابي لشعورها بهذا الفرح العارم عند سماعها هذا الخبر، وعجزت عن ازالة الابتسامة عن وجهها.

انطلقا معاً، يتنزهان بين زحمة الناس. يقفان بين الحين والآخر لتبادل التحية مع بعض المعارف. وقدمت جابي تيو لاصحابها... احبه الجميع نساء ورجالاً. كان الاستعراض مليئاً باللهو والتسلية وعندما انتهى سألها تيو:

«اترغبين في التجمع الآن؟».

«اعرف ان الاستعراض للاطفال لكنني اجده ممتعاً».

«لا تعتذري يا عزيزي قالت ما زلت طفلاً ومن الطبيعي ان تستمتع بهذا النوع من اللهو. في اي حال استمتعت به انا ايضاً».

«لا تحاول مراعاة شعوري».

«الطفولة براءة مرغوبة جداً كما تعلمين. ومن السهل تقليد الانسان المحنك والمتكلف لكن يستحيل استرداد براءة الطفولة متى فقدت. كنت اجاملك يا حبيبتي».

«هل تحب ان يقال عنك انك ولد؟».

اطلق ضحكة رنانة واجاب:

«مضى علي وقت طويل منذ كنت ولداً. ماذا تفعلين الآن؟».

اجابت هامسة وقد ادهشتها سرعته في تغيير الموضوع:

«لا شيء».

«اذن تعالي معي. اتركي رسالة لأهلك تعلميهم بها عن خروجك، وتعالي لارافقك الى شاطئ، اكتشفته منذ ايام قليلة».

ترددت قليلاً لكنها سرعان ما وافقت وتركت نفسها تستجيب لشخصيته الساحرة التي لا تقاوم. اصبح يملك سيارة الآن، متوسطة الحجم، جديدة ومريحة جداً. وبعد ان تركت رسالة لاهلها وارتدت سروالاً قصيراً، انطلقا معاً نحو الحوض، وكانت الطريق هادئة والصمت سائداً. وتحيط الطريق على الجانبين اشجار استوائية، والشمس مشرقة باشعتها الدافئة. جلست جابي تتأمل ما حولها بدهشة عارمة

واتخذ تيو طريقاً فرعية تؤدي الى حافة النهر ثم اوقف السيارة والابتسامة تعلو وجهه. ولم يقل شيئاً. ترك جابي في سكرتها. كانت تجهل وجود عالم في هذه الروعة والجمال. وبعد حين خرجت جابي من السيارة الى الرمال الذهبية التي تحيط مياه النهر الدافئة. ورافقها تيو ممسكاً بيدها.

قالت بلطف:

«مكان رائع لم آتِ الى هنا من قبل. انها مزرعة عائلة مثير.

ليس كذلك؟».

«نعم. تعالي لنكتشف المكان معاً».

كانت الأرض مزروعة بالقشوف والأزهار واصناف النباتات. ومياه الجدول الصغير باردة ونقية.

«خلال تشردي حول العالم كانت نفسي تتوق دائماً للرجوع الى الوطن. كم انتظرت لاعود الى هذه الارجاء. رغم كل ما قدمته لي البلاد الاخرى، يبقى الوطن قسماً من كياني لا يتجزأ».

«كم طال غيابك؟».

«عشر سنوات. كنت في العشرين من عمري حينئذ. صممت على الرحيل. اردت ان ابرهن لذاتي اني قادر على شق طريقي بنفسي. عملت ليل نهار ووفرت ما يكفي من المال لشراء مركب صغير انطلقت فيه نحو الجزر».

اومأت جيني برأسها:

«الجزر!».

كانت تعلم ان ما يعنيه ثيو هي جزر فيجي، تاهيتي، راروتونغا، وساموا وغيرها، وهي جزر استوائية ذات سحر خاص... لا تبعد عن نيوزيلاندا الا القليل لكنها عالم مختلف تماماً.

تنهدت جيني معبرة عن رغبتها الجامحة في خوض البحار.

فنظر اليها ثيو قائلاً:

«يبدو انك مصابة بشهوة السفر ايضاً. لا تنسي ان للسفر متاعبه ومشقاته».

واخبرها عن الاخطار التي واجهها في البحر، كالقرصنة في اندونيسيا... ثم اخبرها عن حياة الصيادين والفرحة في الاستهداء الى واحة في الصحراء وعن نقاوة النور فوق الجزر اليونانية. وجيني تصغي وتراقب كل تعبير يرتسم على وجهه وكأنها حريصة على الاحتفاظ بكل التفاصيل في ذاكرتها. ربما تحتاجت اليها في ليلة باردة من ليالي الشتاء القاتمة عندما يكون ثيو قد غادر آواكيرو.

ولم تدرك الى اي حد تركت نفسها تتأثر بحديث ثيو. فالهواء بات اكثر نقاوة والسماء اكثر زرقة والشجيرات الخضراء اكثر انتعاشاً. ربما كان هذا هو الوقت الذي احست فيه بشعور يولد في اعماقها لم تعرفه من قبل. كانت تلتهم بعينيها كل شيء حولها فسألها ثيو:

«لماذا تحملقين بكل شيء على هذا النحو؟».

«احاول ايجاد المكان المناسب لبناء منزل».

«منزل؟ وكيف تصفينه؟».

«اتخيل منزلاً متواضعاً... تحيطه الاشجار من كل النواحي. نوافذه واسعة وعديدة. ارضه مفروشة بالبلاط. وبعيداً عن الانظار».

كانت رائحة البحر والبستان تمتزجان مما زود الهواء بنشوة مسكرة.

قال ثيو:

«رائع».

نظرت اليه جيني ولمحت تعبيراً جامداً في عينيه مما جعل

قلبها ينكمش. فتابعت سيرها بعيداً عنه.

امرت جوي ابنتها جانين:

«حاولي ان تتذكري ذلك دائماً. فهذا يساعد على تحسين قامتك وثيابك. هل انت جاهزة؟».

اومأت جانين برأسها. موعد حفلة نادي الدراما الليلة، وجانين قبلت حضورها على مضض... لم تكن تملك الا ثوباً واحداً مناسباً للحفلة، لونه اخضر وطرازه قديم. لا يلائم قامتها ابداً. وحاولت جانين ان تخفي حزنها لكن بدون جدوى فتمسكت على الكرسي حين صاحت امها:

«[illegible]

[illegible] جمالاً طبيعياً».

«ولماذا تقارنين نفسك ببيني؟ لا تدعي نجاحها في الحياة يجردك من ثقتك بنفسك... حتى بيني اضطرت ان تتعلم كيفية التصرف في المجتمع».

قال بول متحدثاً من مقعده قرب النافذة:

«لا تصدقي ذلك. ولدت بيني وهي مزودة بحسن السلوك. الفرق بين بيني وجانين هو ان بيني واثقة تماماً انها هدية الخالق للبشر. بينما جانين تعتبر انه لطف من العالم ان يقبل وجودها».

رمقته السيدة ياودن بنظرة ساخطة ثم اجابت:

«كيف اعتقد انك تخطيت سن المراهقة يا بول».

ومن مقعده قرب النافذة كان بول يراقب الشارع بواسطة المنظار.

«وها هو تيو في صحبة فيل تالبوت الفتاة ذات الشعر المصبوغ».

فيل تالبوت فتاة من عائلة ثرية ومكانة مرموقة في المجتمع، تدرس في جامعة اوكلاند. رائعة الجمال، انيقة وظريفة. وقبولها باصطحاب تيو الى الحفلة يدل على انه من مستوى اجتماعي حسن.

كانت الفكرة نفسها تجول في ذهن جوي. وعندما دخل وجهها الغرفة اخبرته بما قال بول.

«وهذا دليل كاف على ان تيو [illegible]

[illegible]

هل انتم جاهزون؟»

[illegible] معك الى حفلة نادي الدراما».

٣ - بين الصداقة والحب

توجهت عائلة باردن الى قاعة الاحتفال بعد ان ذهب بول الى بيت اصدقائه، حيث سيقضي الليلة. وآواكيبو تفتخر بقاعة الاحتفال التي بنيت منذ ثلاثين سنة وما زالت تحتفظ بأهميتها كقاعة للجالية باسرها.

وتولى نادي الدراما وضع الزينة. كان الورد في كل مكان مما خلق جو عيد وغبطة. وارتدت الفتيات والنساء أجمل الفساتين، فبدت جايني كفتاة يتيمة. وحاولت ان تختار مكانا منزوياً للجلوس، حيث لا يراها أحد، خاصة انها لمحت من بعيد ثيو كارينغتون برفقة فيل تالبوت. لكن ما لبثت ان جلست حتى التقت عيناها بعيني ثيو الذي حيّاها بابتسامة، فردت

التحية. كانت فيل في زهوة لا توصف. وجمالها ووجودها مع ثيو يبدو اسعد فتاة في القاعة. وبدا على ثيو ايضاً انه يتمتع بوقت سعيد، كان من الصعب على جاني ان ترى بوضوح من خلال عينيه، حقيقة شعوره. لكنه كان واضحاً تماما ان لثيو تأثيراً على فيل كتأثير المخدر. بدأت الفرقة تعزف الموسيقى وغصت القاعة بالراقصين. وفي ذراعي ثيو دنت فيل نفسها وكأنه المكان الوحيد الذي ترغب فيه. احترق قلب جاني لهذا المشهد. وشعرت ان فيل استسلمت لسحر ثيو كلياً. ليس لسحره فقط بل لجاذبيته القوية المدعمة بقوة شخصيته وارادته النابعة من صميمه. ان ثيو كارينغتون رجل خطير. حتى جاني باتت تشعر بخطره وهي التي لا تعطي اهمية كبيرة للجنس الآخر. وبينما كانت جاني تستمع لأمها وهي تتحدث مع صديقاتها اقترب منها شاب طويل القامة، اسمر اللون. فرحت جاني بمشاهدته وصاحت:

«سام، ماذا تفعل هنا؟ كنت اعتقد انك تعمل في غرب اوستراليا في صناعة الحديد».

كان سام صديق جاني منذ زمن، وكانت تطمئن لرفقته فهو يعاملها معاملة اخوية. وسام شاب محبوب من الجميع، اصله مزيج يوغسلافي وماوري واسكوتلاندي.

طبع قبلة على جبين جاني وأجاب:

«اني في عطلة الآن. فقررت ان آتي لزيارة فتاتي المفضلة».

اصطحبها الى حلبة الرقص وانطلقا يرقصان معاً ويتبادلان الاحاديث المرحة. ثم سألها سام:

«من يكون هذا الشاب الذي يرقص مع فيل تالبوت؟ لقد رمقني بنظرة غريبة».

اجابت:

«ثيو كارينغتون».

«يبدو انه يراقبك بنظرات استفهامية».

«لا اعتقد انك على صواب. فأنا لا اعني شيئاً للسيد كارينغتون».

«اما زلت تعانين من عقدة النقص نفسها؟ ان ما تبدين عليه الليلة يجعلني في الحقيقة اوافق على رأيك. لكن عندما يأتي ذلك الشاب السعيد الحظ ويشعل النار في قلبك ذات يوم، سوف ستلفتين انظار الجميع».

اجابت جاني مقدرة لباقته، دون تصديق كلمة مما يقول:

«اشكر لطفك يا سام».

وشرع سام يستفهم عن آخر اخبار المنطقة. نسيت جاني كآبتها وراحت تتمتع برفقة سام واصدقائه. لكنها بين الحين والآخر كانت تختلس نظرة تجاه ثيو وفيل اللذين كانا منسجمين معاً الى حد كبير.

عند منتصف الليل غادر اهل جاني الحفلة بعد ان وعدهما سام بتوصيل جاني الى البيت قبل الساعة الواحدة.

وغادر القاعة اغلبية الكبار في السن، مما اكسب الحفلة جواً عفوياً مجرداً من الرسميات.

وتقدم ثيو من جاني ودعاها للرقص. حاولت متابعة خطواته... كان يجيد الرقص وما هي الا ثوان قليلة حتى

شعرت جايني بالراحة نفسها التي كانت تشعرها وهي ترقص مع سام.

قال ثيو:

«يبدو انك سعيدة الآن لرجوع حبيبك».

ونظرت اليه جايني بدهشة:

«سام؟».

«اهذا اسمه؟ سام من؟».

«سام بارتينغال، وهو ليس حبيبي، بل صديق حميم».

اطلقت ضحكة خافتة واستمرت تقول:

«انه عزيز لدي كأخ ولا يشكل متاعب كالحبيب».

«وماذا يفعل سام؟».

«انه يدرس الطب. لقد انهى سنة دراسية في جامعة اوكلاند».

اجاب ثيو:

«انه جدير بالاحترام».

ثم اضاف:

«ايتها الغبية يبدو ان سام يذوب في حبك».

«غير صحيح».

«لا احد يوازي سذاجتك. خاصة في هذه الأيام».

ظهر الغضب على وجه جايني.

«هل تمانع؟ اذا شئت تحليل الحقائق بالنتائج لنفسك. فلدي احاسيسي الخاصة».

«يا لك من طفلة».

كان صوته قاسياً وكأنه يقصد ايلامها. وجدت جايني نفسها عاجزة عن صده. واغرورقت عيناها بالدموع فأحنت رأسها لتخفي خجلها.

«لا تبكي يا جايني. فما من رجل يستحق دموعك».

«دموعي ليست لك... لم اعتد ان يخاطبني احد بهذه اللهجة من قبل».

«لست غاضباً عليك. اني غاضب على نفسي وعندما اغضب مع نفسي، اسيء الى من هو اقرب مني».

«ولكن هذا غير منطقي».

«وهل تتوقعين من الناس ان يكونوا منطقيين؟».

«بل لا؟».

«لم لا؟».

ارتفع حاجباه واستطرد قائلاً:

«هل تؤمنين بالحب الحقيقي بين رجل وامرأة؟».

فاحتقن وجه جايني الاحمرار ولكنها صدت الشعور بالخجل وقالت بحزم:

«نعم».

«أترين؟ اين هو المنطق عندما يحب رجل امرأة معتقداً ان معها وحدها يمكنه اكتشاف السعادة؟ بينما يعلم اي انسان بسيط ان الزواج السعيد يرتكز على الجاذبية الخارجية بين الطرفين وانسجامهما الشخصي. هذا اكيد اذا كان ما تسعين اليه هو اقامة الاستقرار ضمن الحياة الزوجية».

«وطبعاً هذا ما لا تريده».

اجابت محولة السؤال اليه حين وجدت نفسها عاجزة عن الدفاع عن آرائها الرومنطيقية حول الحب والزواج امام ما ورد منه من سخرية.

وبينما كان نور يفكر بالاجابة كانت جايني تتأمل تعابير وجهه بدقة. وكانت تشعر بقوة وثقل ذراعيه حول خصرها. ثم اجاب:

«اريد الزواج. لكنني لا اريده لاهانة الاستقرار. انظري حولك. حتى في هذه الجنة تجدين عدداً كبيراً من الزيجات في مأزق كبير. وعادة يبقى الزواج مستمراً بسبب الأولاد او بمجرد كسل من الطرفين».

«طبعاً هنالك العديد من الزيجات على هذا النحو. لكن هنالك العديد من الزيجات السعيدة ايضاً».

اجاب بجفاء:

«هذا يرجع الى تحديد كلمة سعادة».

ثم استمر يقول:

«هل يسعدك ان تكون سعادتك الزوجية ناتجة عن لحظات عاطفية تشاركينها مع زوجك مدركة ان اي تغيير في المستقبل يعني بداية جديدة والاعتياد على العيش بدون رفاهية الالفة التي كانت سائدة؟ الناس كسالى يا جايني. يضعون الاصفاد بايديهم ولا يمانعون. فتبدو الحياة اسهل للعيش».

سألته وهي تحدق في عينيه وفي بسمته الساخرة:

«وما الضرر في ذلك؟ اقصد انها حتماً نوع آخر من السعادة».

«وذلك افضل من لا سعادة على الاطلاق. هل تقبلين بزواج كهذا؟».

«لا».

«هذا ما اعتقدته. تريدين نشوة الغرام ان تستمر الى الابد بعد الزواج».

«طبعاً لا. فهذا مستحيل. لكنني لا بد من ان مشاركة الحياة اليومية بقدرتها ان تصوغ ارتباطاً قوياً بين الطرفين».

وفور انتهائها من حديثها ضحكت بعصبية وقالت:

«كم انا غبية. اتكلم وكأن لي تجربة في الزواج، وانت؟».

«لا. لم اجرب الزواج بعد».

ثم اضاف مغيّراً الموضوع:

«تجيدين الرقص يا جايني».

وفكرت وكأنها تهمس بقلبها: «احب الرقص، وخاصة برفقتك».

استمر الطقس على حاله وارتفعت الحرارة الى درجات لم تصل اليها من قبل. ذبلت الزرازع تحت اشعة الشمس القاسية، ومن شدة الحرارة بات الأكل صعباً والنوم اصعب. واشترت جايني اثواباً جديدة، منها ثوب للسهرة وصندل كعبه عال.

سألت امها والشك يساورها:

«كيف حال يا عزيزتي؟ يجعلك تبدين طويلة جداً».

اجاب بول:

«لكنها طويلة» ثم اضاف، «ممتة القامة».

قالت جاني:
«تقريباً».
واستطرد بول قائلاً:
«سيبلغ طولي الستة اقدام قريباً».
تتذمر السيدة باوردن من غلاء الثياب التي تحتاج لشرائها لبول باستمرار:
«لا احد يشك بذلك. فبول ينمو بسرعة عجيبة...».
«سأصبح طويلاً كالسيد كاربنتر. وذلك ستة اقدام وبوصتين. جاني، هل سترافقنا الليلة؟ سنذهب الى الخليج لصيد السمك».
ترددت قليلاً ثم اجابت:
«لم لا؟ متى اتفقتما على الذهاب؟».
«الساعة التاسعة. امي متى ستعود بيني؟».
«لم يبق سوى ايام قبل عودتها. لماذا؟».
«التقيت بجيف ماكدانولد في ساحة المدينة اليوم وسألني عنها».
تنهدت السيدة باوردن:
«آه... كنت ارجو ان يكون قد تحرر من حبه لبيني».
وهذا ما كان يرجوه الجميع. احب جيف بيني منذ كانت في الخامسة عشرة من عمرها. وكان جيف حينئذ مسؤولاً عن مزرعة ابيه، لكن بيني تعتبره من طبقة غير طبقتها. اغضبه قرارها الالتحاق بالجامعة، وخاصة لدراسة الحقوق، لكنه ما لبث ان قبل بالأمر. فجيف لا ييأس ابداً. استمر في الخروج مع

بيني خلال عطلة الصيف راجياً ان تحقق المثابرة ما فشل الاخلاص في تحقيقه. لكن جاني كانت تعلم ان الأمل ضئيل. وما دام جيف راضياً بالوضع كما هو فلا احد يقدر على تغييره، خاصة ان بيني ترحب به بسرور كبير كلما تم لقاؤهما من جديد.
يبدو الآن ان الشيء نفسه سيتكرر هذا الصيف. سيأتي جيف ويصطحب بيني في نزهات متعددة كما هي العادة كل صيف. امسكت جاني بوردة النرجس تشم عطرها الساحر. وفجأة ظهر بول امامها يبدو عليه المرض.
«هل انت بخير؟».
«معدتي تؤلمني».
اقتربت منه والدته وقالت:
«منذ متى تشعر بهذا الألم؟».
«منذ قليل».
كان صوته قلقاً. وارغمته امه على الايواء الى الفراش فاطاعها.
وسألت جاني امها فور دخولها الغرفة:
«كيف حاله الآن؟».
«انه نائم. لا شك انه تأثير الحرارة. سيحسن النوم من حاله حتماً».
«اتعتقدين انه سيقدر على الذهاب لصيد السمك؟».
«لا يا عزيزتي. فاذا كنت تنوين الذهاب، عليك ان تذهبي بمفردك».
ترددت جاني لكنها سرعان ما ادركت ان رفضها للذهاب

مع ثيو سينير الشكوك فقالت:

«حسناً. ربما سيعدل ثيو عن الرحيل».

«لا ارى السبب. فأنت تحسنين الصيد تماماً كبوله».

لم يظهر ثيو اي ازعاج لمعرفته ان بول عاجز عن اصطحابها. فبعد ان عبر عن امنيته بشفاء بول سريعاً، اصطحب جاني معه وانطلقا نحو الخليج. كان النور ما زال ساطعاً لكن الشمس فقدت معظم حدتها. وفي طريقهما، وقع نظرهما على يخت في المرفأ حيث كان يجري احتفال. كانت الموسيقى والأصوات المرتفعة مسموعة من مسافة بعيدة. وبينما كان ثيو يدير الزورق البخاري، خرجت فتاة من اليخت المجاور وحيّت ثيو بقبلة على الهواء. ورد ثيو التحية بالمثل. فاشتعلت جاني غيظاً. لاحظ ثيو ردة فعلها واطلق ضحكة عالية. كان يبدو كالقرصان. وادارت جاني رأسها تتأمل مياه النهر محاولة اخفاء حقيقة شعورها.

اثناء الرحلة، لازمت جاني الصمت. كان ثيو منهمكاً بقيادة الزورق عبر القناة. واقترب منها بعده مركب ظهر منه ريد تومسون وحياهما بأدب:

«مساء الخير يا جاني، ويا ثيو».

«مساء الخير يا ريد».

«ليلة لا بأس بها. ذاهبان للصيد؟».

«نعم».

قال ريد وهو يلف سيكارته:

«كونا على حذر. ستجدان في طريقكما بحارة على متن مركبين يحتفلان بعيد الميلاد، اغلبهم في حالة مزعجة يرثى

لها».

«سنكون على حذر. شكراً يا ريد».

«العفو».

وتابعا طريقهما. كانت جاني تتأمل ثيو وهو يقود الزورق. كانت تحدق في كتفيه العريضتين.. ولونه الاسمر وقامته الجذابة. ليس عدلاً ان يملك ثيو كل هذا بالاضافة الى شخصية فذة... انه رجل يسهل الوقوع في حبه ويصعب نسيانه.

وكلما اقتربا من الخليج سمعا بوضوح اكثر ضوضاء الحفلة التي حذرهما منها ريد، كانت الموسيقى تخرق الآذان. والقت جاني نظرة قلقة نحو المركبين لكن ثقتها بثيو سرعان ما ازالت قلقها. كان المركبان متصلين بالحبال مما جعلهما يجتازان القناة معاً. وفجأة قفز بحّار من المركب الكبير الى الآخر حاملاً بيده كأس شراب. وتبع قفزته تصفيق وهتافات ثم تمايل المركب بقوة. ولم يفعل البحارة شيئاً لاعادة المركب الى توازنه. فاشتدت الحالة سوءاً حتى انحرف المركب الكبير الى حيث المياه قليلة العمق. تعالى الصراخ. واسرع ثيو بزورقه نحو المركب ثم توقف. وسرعان ما استلم ثيو الوضع محاولاً تنظيم الأمور. مرّت ساعة كاملة ساعد ثيو خلالها على اخلاء المركب الصغير الذي تحطمت اجزاء منه نتيجة الاصطدام. وبمساعدة بعض الموجودين في مركب آخر تم سحب المركب الكبير من المياه الضحلة. وبعد ساعة من الوقت حضرت الشرطة واشرفت على الأمر.

عاد ثيو الى جاني قائلاً:

«حسناً، هيا بنا نعود».

اثناء وجود ثيو لم تقع اي اتهامات لأنه استطاع ان يسيطر على البحارة بقوة شخصيته ولسانه اللاذع. وبوصول الشرطة بدأت الاتهامات تتطاير من الطرفين وبدت الحالة على وشك الانفجار.

فكانت جايني سعيدة بالعودة الى البيت.

«من المستحسن ان نرجع الى البيت الآن. نعود للصيد مرة اخرى».

اومأت جايني برأسها. لقد رأت ثيو كما لم تعرفه من قبل، كان في حالة اثارت خوفها، حتى لو انها اعجبت بطريقته في معالجة الوضع. انه رجل متعدد الصفات. ربما كان بحاراً متشرداً لكنه ولد ليكون قائداً. فبعد ثوان من وصوله الى المركب ارغم الجميع على اطاعته، فاطاعه الجميع بدون استثناء.

وفي الليلة التالية ذهب ثيو وبول وجايني معاً لصيد السمك. اصطادوا كميات كبيرة حتى اضطرت السيدة باودن لوضع معظمها في الثلاجة. وفي الأيام التالية انهمكت جايني في قطف الفراولة، بينما كان ثيو يجمع التين.

انتهت الترتيبات اللازمة لعيد الميلاد. واقترب موعد عودة بيني. سمعت جايني امها تقول:

«حسناً، كل شيء جاهز. ارسلت بطاقات المعايدة واشتريت كل الهدايا اللازمة. دعوت ثيو لقضاء العيد برفقتنا فقبل دعوتي لتناول طعام الغداء، اما للعشاء فلن يكون معنا، بل اتوقع ان يكون ضيفاً في منزل عائلة تالبوت».

«ممكن» اجابت جايني. «ثيو وفيل يخرجان معاً باستمرار».

اجابت السيدة باودن:

«هكذا سمعت».

«يبدو ان ثيو استقر في آواكيبو، وكأنه ينوي البقاء. امر مؤسف ان تكون حياته على هذا الشكل، من مرفأ الى مرفأ. لو انه يستقر ويثبت في عمل».

«وماذا تقترحين ان يفعل؟ لا استطيع ان اراه وراء مكتب او مفرد شحن مثلاً».

نظرت اليها امها بدهشة:

«جايني، ان ثيو رجل مثقف تبين لنا من حديثه منذ مدة انه تخرج كمحاسب».

«محاسب؟».

لم تصدق جايني ما سمعته، فلم يكن بامكانها ان تتصور ثيو كمحاسب. ليس في شخصيته شيء يدل على الدقة والترتيب العقل الحسابي.

«يظهر انه لم يحب العمل كمحاسب. قال لي انه بدأ حياة السفر وهو في العشرين من عمره».

«اذن حصل على شهادة المحاسبة خلال تجوله في بلد من البلدان...».

اجابت جايني:

«ربما».

وعجزت عن تخيل ثيو محاسباً كعجزها عن تخيله سائق شاحنة. من الصعب تصنيفه فهو فريد من نوعه.

ان سام في تلك الليلة ليتبادل الاحاديث مع جايني. وبعد

ان القى التحية على السيد والسيدة باودن، خرج برفقة جاني الى الشرفة. واستلقى على الاريكة يتناول الشراب. ساد الصمت بينهما حتى قال سام:

«كم تغير هذا المكان منذ مجيئكم الى آراكيو. لقد صنعتم الكثير لتحسينه».

«اتذكر. كان المنزل بدون نوافذ وغرفه قاتمة لا تدخلها الشمس اما الحديقة فكان العشب فيها عالياً جداً».

نظرت حولها تتأمل ما فعلته السنوات الست الماضية.

اصبحت الحدائق التي تحيط البيت انيقة ومزروعة بأجمل الازهار، وتحول البيت الى مسكن مريح وبهيج تدخله الشمس وتملأه دفئاً، واخذ سام يتحدث عن عمله خلال العطلة.

بدأت الشمس تغيب ومن بين اشجار الاوكاليبتوس سمعا تغريدة عصفور. وفجأة قفزت شاي على كتف جاني تخرج منها رائحة السمك. اخذتها جاني بيدها ووضعتها في حضنها اذ غلبها النوم.

«علي ان اذهب الآن يا جاني. ما رأيك في مرافقتي الى حفلة عيد رأس السنة؟ سيذهب اليها كل اصدقائنا».

«طيب، فهذه فرصة سانحة لرؤيتهم. يبدو اننا انهمكنا في العمل هذه السنة ولم نجد الوقت الكافي لرؤية بعضنا».

«ربما ستكون هذه آخر سنة نجتمع فيها. هل قررت ماذا ستعملين في السنة الجديدة؟».

«لا لم اقرر بعد».

«لا تيأسي. ستحتاجين الى الوقت للتروي. الجامعات في

الحياة. علي ان ارحل الآن. اراك قريباً».

ردت جاني التحية وتركت الشرفة لتتنزه فوق العشب الاخضر. كان الليل جامداً والهواء منعشاً، نقياً. واستغرقت جاني بالتفكير في احاسيسها الجديدة. وفي ما يجري في اعماقها من مشاعر لم تألفها من قبل. وفجأة سمعت صوتاً خلفها انزل فيها الرعب.

«انتظرت منك اشارة لكنك فاشلة في تمثيل دور جولييت».

ضحكت جاني بعصبية محاولة السيطرة على رعبها.

«تحتاج جولييت لضوء القمر لالهامها بالكلام. وانت بعيد كل البعد عن روميو».

«صحيح فانا اكبره بعشر سنوات. كم كان عمر جولييت؟».

«اظن انها كانت في الرابعة عشرة او الخامسة عشرة من عمرها».

توقف نيو وقطف زهرة غاردينيا والقاها بلطف على رأس جاني وهو يقول:

«كانت جولييت تصغرك سناً. لكنها استطاعت ان تحب حباً عميقاً وكاملاً. هل انت قادرة على ذلك؟».

«لا ادري. كانت جولييت ناضجة في عمرها لكنني اشك ان ما شعرت به تجاه روميو كان بالفعل حباً حقيقياً».

«تعتقدين انه لم يكن سوى جاذبية خارجية؟ لماذا؟».

«لانه لم يمض على معرفتهما ببعضهما سوى وقت قصير. والحب الحقيقي ينمو بعد معرفة قوية بين الشخصين».

«ربما كنت على صواب. كم من الوقت تحتاجين كي تحبي شخصاً؟ ثلاث دقائق؟ ام ثلاثة ايام؟ ام ثلاث سنوات؟».

ازعجتها السخرية في صوته وأثارتها في الوقت نفسه.

فأجابت بسرعة:

«لا اعتقد ان الوقت هو العنصر الأكثر اهمية. درجة المعرفة هي الأهم، في اي حال لا اعلم الكثير عن هذا الموضوع. لم يسبق لي ان احببت من قبل».

اجاب ضاحكاً:

«صحيح؟ الم تقعي في حب مدير المدرسة مثلاً او احد المطربين الشباب؟».

«لا. لست من هذا النوع».

«لا اصدق ان مشاعرك ما زالت نائمة منذ زمن ولم تصح ابداً. وماذا عن سام الذي ذهب منذ لحظات قليلة؟».

«سام؟ وماذا تعني؟».

«هل انتما اصدقاء فقط؟»..

«نعم».

كان من المهم جداً ان تقنعه بهذا الأمر فاستطردت قائلة:

«نعرف بعضنا جيداً مما يمنع ان يكون بيننا اية نزعة رومنطيقية».

«لكن بقولك هذا تناقضين نظريتك عن روميو وجولييت، اليس كذلك؟».

احتضنها ثيو بين ذراعيه وتابع قوله:

«اذا كانت المعرفة عنصراً اساسياً للحب، فهذا يجعلكما انت

وسام حبيبين بدلاً من صديقين. ولا يخفق قلبك بهذه السرعة عندما يعانقك رجل غريب مثلي».

كانت ذراعاه حول خصرها غير محكمتين لكنها عجزت عن ان تتحرك رغم محاولتها للافلات. وطوّق صدرها احساس غريب سبباً لها ضيقاً في التنفس. وبوجود ثيو بالقرب منها على هذا النحو كانت تشعر بقامته القوية وتشم عطره الذكي. وكان عليها ان تحارب رغبتها بالاستسلام بكل ما تملك من قوة لكنه حررها من قبضته بعد لحظات قليلة وقال بسخرية:

«ليكن هذا درساً لك يا جانيت. ابقي الانوار مضاءة دائماً خلال وجودك مع رجل بمفردكما في ليلة صيف قاحلة. ان زهر الياسمين والغاردينيا له عطر مثير يصعب الافلات من تأثيره».

«اشكرك على تحذيرك. سأتذكره دائماً».

وبعد لحظات عديدة ظهرت السيدة باودن على الشرفة وقالت:

«سمعت صوتكما. تعالوا الى الداخل، فالندى كثيف حتى في هذا الوقت من السنة».

٤ – سباحة لم تحصل

وصلت بيني الى البيت قبل الميلاد بيوم. اوصلها بعض الرفاق في عصر يوم بلغت الحرارة فيه اوجها. لكن بيني بدت كالعادة جميلة وانيقة. رحب بها الجميع وتبادلوا القبلات [illegible] في الحديقة [illegible] بالعودة وكأنما [illegible] اعوام على غيابها وليس مجرد شهرين. قالت لجايني:

«كم انا سعيدة لوجودي هنا. يظهر انك كبرت يا جايني منذ رأيتك آخر مرة. اقرأ في عينيك اسراراً عميقة. ما هي آخر التطورات في حياتك؟».

«لا شيء يذكر».

اجابت جايني ثم تابعت:

«لا يبقى احد طفلاً كما تعلمين».

«صحيح».

اجابت بيتي مبتسمة. ولفت انتباهها شيء آخر، فانصرفت.

كان من السهل ان تنصرف جايني امام اهلها وكأن كل شيء في حياتها ما زال عادياً. لكن بيتي لا يفوتها شيء.

منذ تلك الليلة التي وجدت جايني نفسها بين ذراعي ثيو، اضطرت ان تنظر الى نفسها ومستقبلها تحت ضوء جديد. ارغمها ثيو على الخروج من سن المراهقة الى عالم الأحاسيس التي تخيفها. كانت تظن انها ما زالت صغيرة لتحب. فها هو ثيو يزعزع ثقتها بنفسها ويقلق حياتها المطمئنة.

كثيراً ما شعرت بعينيه تحدقان بها، ووجدت نفسها تحارب رغبتها بالنظر اليه. فكلما يلتقي نظرهما، تفقد جايني اتزانها ويعلو الاحمرار وجهها.

مع قدوم بيتي احست جايني ان مرحلة جديدة في حياتها قد ابتدأت.

زار ثيو منزل عائلة باودن قبل العشاء بقليل.

كان من المنتظر ان تعجب بيتي بثيو. فهذا شعور كل امرأة تلتقي به. والعكس صحيح. فبيتي ليست مجرد فتاة رائعة الجمال فهي ذكية وذات شخصية مليئة بالحيوية وبعد العشاء جلست جايني قرب بول يلعبان الشطرنج، بينما انهمك الآخرون بالحديث. كان يود جايني ان تأوي الى فراشها لكنها خشعت لرغبتها الجامحة بالاستماع الى صوت ثيو وهي تنتظر

انقضاء السهرة بسرعة. اخيراً غادر ثيو ودخل الجميع غرفهم للنوم. وبينما كانت جايني ترتدي ملابس النوم سمعت طرقاً خفيفاً على باب غرفتها. دخلت بيتي، وراحت تجول عينيها في الغرفة متأملة كل تفاصيلها، ثم قالت:

«لماذا لا تنتقلين الى غرفتي؟ فانها اكبر. بما انني لن استعملها بعد الآن».

ابتسمت جايني واجابت:

«لكنني مولعة بغرفتي الصغيرة».

«انها اشبه بزنزانة. ربما تناسبك. فأنت اشبه براهبة شابة بردائها الأبيض وشعرها المقروص الى الوراء. الا ان للراهبة عينين واضحتين، بينما يبدو انك تخفين شيئاً في عينيك. ولا تملك الراهبة شفاهاً مفعمة بالحب مثل شفتيك. من طبع قبلة عليهما؟ لا تخافي لن ابداً بالتحقيق. لم نعتد من قبل على تبادل الاسرار. انا لا يناسبني البوح بفشل اول حب في حياتي. في اي حال لقد جئت لاستعلم عن هذا الفرسان الرائع».

«ثيو؟».

سألت جايني بحذر.

«نعم ثيو. السيد ثيو كارينغتون، ذلك الشاب الطويل الأشقر، الوسيم، الذكي والشديد الثقة بنفسه».

ضحكت بيتي بنعومة ثم استطردت قائلة:

«وانا التي اعتقدت ان عطلة الصيف هذه ستكون مملة. اخبريني يا جايني كل ما تعرفين عنه».

اخبرتها جايني ما تعرفه عن ثيو. لم يكن ذلك الا القليل.

«رجل اسرار...».

قالت بني ثم تابعت:

«حسناً اذن. وما رأيك فيه؟».

«رأيي انا؟».

«نعم. انت. لديك طريقة رائعة بوصف العناصر الاساسية لشخصية اي فرد. برغم قلة خبرتك في الحياة فانت مفيدة جداً».

تظاهرت جايني بالتفكير ثم قالت:

«اعتقد انه رجل خطير. اظهر لطفاً عارماً تجاه بول، تجاهي، وتجاه اهلي. وفي الوقت نفسه اشعر انه يسخر من الجميع. فهو يجتاز كل القوانين اذا شاء».

همست بني لنفسها:

«للصفقة ترمسان!».

واكملت:

«وكيف يؤثر عليك؟».

هزت جايني كتفيها واجابت:

«انه يكبرني سناً. لطيف جداً وابتسامته جذابة لكنه في الثلاثين من عمره».

«ستجدين، ان الثلاثين هو العمر المثالي للرجل، في المستقبل القريب. لاحظت انه معجب بي. انه تماماً ما احتاج اليه هذا الصيف لتمضية وقت ممتع».

بعد ان غادرت بني الغرفة، اطفأت جايني النور، واقتربت من نافذة غرفتها التي تواجه المرفأ. حتى في الليل كان بوسعها

معرفة توروروا من بين السفن الاخرى. تساءلت لماذا يبقى ثيو ساهراً كل ليلة حتى ساعة متأخرة.

كان الليل جامداً. وعند منتصف الليل دقت ساعة الساحة وتبعتها الاجراس احتفالاً بالعيد. ضغطت جايني على شفتيها محاولة احباط رغبتها بالبكاء.

تقوم التقاليد في نيوزيلاندا على ان يتم تبادل التمنيات بالعيد السعيد بعد تناول طعام الفطور. فيذهب الجميع الى شاطىء البحر او الى حيث اختاروا قضاء العطلة. وتغلق معظم محلات التجارة لمدة ثلاثة اسابيع. كان ذلك يثير غضب ليبن باودن. لكنه اعتاد على القبول بالامر. احتفظ السيد باودن بتقاليده الانكليزية وهي الاحتفال بالعيد بعد طعام الغداء.

كان الطقس حاراً مما جعل تناول الطعام صعباً جداً. وككل سنة تذهب عائلة باودن الى حضور القداس في الصباح ثم يعودون الى البيت حيث يستقبلون اصدقاءهم.

من افضل التحسينات التي قامت بها عائلة باودن لمنزلهم، كانت بناء حوض للسباحة تحيطه الاشجار التي تخلق ظلاً يحمي من شدة حرارة الشمس. واجتذب الحوض جميع اصدقائهم.

انهمكت جايني في الاعتناء بالضيوف كانت تحمل اليهم المرطبات، وتهتم بالاولاد ولا تفارق وجهها الابتسامة. وتحاول تجنب النظر نحو بني وثيو اللذين كانا يتحدثان بانسجام. امر منتظر طبعاً. كانت بني تبدو رائعة كالملاك. حتى فيل تالبوت لا تتركها جمالاً. ابتسمت جايني من جديد وهي تحمل مزيداً من

المرطبات للضيوف. الجميع يتمتعون بوقت سعيد. شعرت جايني بانعزال رهيب. كأن الموجودين حولها يعيشون في عالم خاص تعجز هي عن دخوله.

فجأة سمعت صوتاً خلفها:

«كنت اراقبك. همس ليو في اذنها. يبدو انك تقومين بكل الواجبات. تعالي معي».

ترددت جايني قليلاً:

«لا تخافي لقد سألت امك فصرحت لك بمرافقتي».

ابتسمت جايني قائلة:

«الى اين؟».

«ستكتشفين بنفسك».

وصلا الى غرفة الغسيل حيث لاحظت جايني صندوقاً على الأرض، داخله ثلاثة كلاب صغيرة، فهتفت قائلة:

«ما اصغر حجمها. اين وجدتها يا ليو؟ فهي طعمة لنا، نحن معشر النساء».

ضحك ليو واجاب قائلاً:

«صراحتك هذه تستحق عناقاً».

واحنى رأسه وعانقها. ثم اخذ وجهها بين يديه لينظر في عينيها وقال:

«لا تخافي يا جايني. اعلم انك عجزت عن الدفاع عن نفسك. تصرفت بسرعة اذ لم اقو على ضبط شعوري».

هزت جايني كتفيها واجابت:

«لم امانع. ليست هذه اول مرة».

ضحك ليو وقال ساخراً:

«ما زلت في اول الطريق. سيأتي يوم تلتقين به رجل احلامك ويعلمك كيف تحبين».

«اعتقد ان الحب لا يحتاج للتعلم. فهو غريزة طبيعية».

ضحك ليو وتوردت وجنتا جايني لكنها ابتسمت محاولة السيطرة على مشاعرها. واجاب ليو قائلاً:

«اهذا صحيح؟ ان الجنس غريزة طبيعية. الم تعلمك الفرق بين الجنس والحب في المدرسة؟».

«طبعاً. ندرس العلاقات الانسانية وعلم الاحياء على السواء».

«انه فعلاً برنامج متقدم اذن».

اجاب ليو وهو يتفحص جايني بدقة. ثم امتدت يده تلمس ذراعيها العاريتين. لم تشعر جايني بالخوف بل بشعور مثير يغمر كيانها. تسمرت في مكانها عاجزة عن الحركة. بينما لمس ليو رقبتها. كان بودها ان تعانقه. ان تلمس كتفيه الواسعتين لكنها لازمت الجمود. نظر اليها ليو قائلاً:

«ايصيبك الجمود؟».

«انا فوجئت بالأمر فقط».

ضحك ليو وابتعد عنها. في هذه اللحظة دخلت بيتي الغرفة وقالت:

«وما هو هذا السر الكبير؟».

وقع نظرها على الصندوق فقالت:

«كان يجب ان نتخلص منها».

فصاحت جايني:
«بني!».
«حسناً. حسناً. اعرف انه يستحيل اقناعك بهذا الأمر. كذلك بول وحتى ابي ايضاً. افعلوا ما تشاؤون لكن لا تتوقعوا مني ان اهتم بها».
وخرجت بيني برفقة ثير بينما بقيت جايني وحدها تفكر بما حدث. هل تعتقد اختها ان باستطاعتها معاملة ثير المعاملة نفسها التي تلقاها جيف ماكدانولد؟ ستكتشف خطأها عن قريب.
خرجت جايني لتباشر الاهتمام بالضيوف. وصل سام وابتهج قلب جايني لرؤيته. شعرت ان لها من يرافقها اخيراً. ربما سام لا يوازي ثير بالهيبة لكنها تعطش لرفقته اكثر. فلا يعبث سام بعواطفها كما يفعل ثير. تساءلت جايني لماذا لا تشعر تجاه سام الا بعاطفة اخوية؟ فهو وسيم ووجوده يدخل البهجة الى القلوب. لكن الفرق بينه وبين ثير، ان ثير في اوج رجولته بينما سام ما زال في اول الطريق.
بدأ الضيوف يغادرون. ساعد سام جايني على تغذية الكلاب ثم غادر بدوره. بقي ثير برفقة بيني. قالت بيني مخاطبة جايني:
«ارى بريقاً في عيني سام يدل على عاطفة تجاهك اقوى من مجرد صداقة».
اجابت جايني بالنفي. فاستطردت بيني تقول:
«لكنه يناسبك. فسام سيتخرج كطبيب في المستقبل.

تحتاجين لزوج مثله ليحميك لانك تعيشين في عالم خيالي. عالم الاحلام. خاصة انك رومنطيقية الى حد كبير. وهذه صفة خطيرة في عصرنا هذا. وتصديقاً على كلامي. تصرفك تجاه هذه الكلاب الصغيرة. عرف ثير تماماً انك ستأخذين على عاتقك الاعتناء بها. فانك رقيقة القلب الى حد بعيد».
«ولا بد ان ثير رقيق القلب ايضاً. والا لترك الكلاب تلاقي حتفها».
ارتفع حاجب ثير بدهشة واجاب:
«صحيح. لي قلب رقيق لا اراهن به».
ضحكت بيني معبرة عن رفضها لتصديق ما سمعت.
استمر الحديث بينهم وكانت جايني تراقبهما معترفة لنفسها انهما ينسجمان معاً شخصية وحديثاً. فهما يسكنان العالم نفسه ويتبادلان مواضيع تثير اهتمامهما. كانت بيني تعبر عن شعور خفي تجاه ثير. شعور باعجاب قوي. اما ثير... فما زال مسيطراً على عواطفه. لا يظهر حقيقة شعوره. لكنه حتماً معجب بذكاء بيني وجمالها.
«لم التق برجل يوازي سحره من قبل».
قالت بيني وهي تستلقي قرب جايني على كرسي تحت ظل الاشجار في الحديقة.
لكن جايني لم تكن تريد سماع اي اعترافات فسألت:
«صحيح؟».
عادة لا تصارحها بيني باسرارها. فهي من النوع الذي يلازم الصمت.

«نعم. هذا صحيح. أتعلمين لماذا؟».

«لا».

«ليو كاريتتون رجل فاتن. لا يبالي بالآخرين. يحب الحيوانات والأولاد والكبار في السن. لكنه مع مرور الزمن، اكتسب مقاومة ضد النساء وهذا امر ظاهر».

«وكيف توصلت الى هذه المعرفة؟».

سألت جاني.

«منها ناتج عن تجربتي في الحياة. ومنها يرجع الى حاستي السادسة. لم اضيع وقتي في اوكلاند كما تعلمين...».

توقفت بيتي عن الكلام قليلاً ثم تابعت:

«انه خارق الوسامة أليس كذلك؟ بالاضافة الى ذلك فله جاذبية رائعة، مستقلة تماماً عن وسامته الظاهرة. اعتقد ان هذه الصفة ترافقه منذ الولادة. لكنه اكتسب هذا الجمود في تعابيره عن سنوات من التجارب والعلاقات العاطفية. لقد عاش حياة عاطفية متنوعة اعطى خلالها الكثير من نفسه واخذ الكثير. وتركته هذه التجارب كما هو اليوم».

رمقت جاني بيتي بنظرة استفهام. يبدو ان بيتي ليست واثقة من قدرتها على ترويض ليو حسب مشيئتها.

«انه فعلاً يثير اهتمامي، فهو متعجرف. غير مبال. ولا يفوته شيء. يقدر الصفات الانثوية، ولو كان لا يظهر ذلك. اظن ان عطلة الصيف هذه ستكون مشوقة جداً».

ومرت ايام عديدة لم يزر ليو خلالها خالته باولين، مما اغضب بيتي واسعد جاني. كان يؤنبها وجوده حولها. غيابه لم يقض على

الأمر كلياً بل جزئياً. ولقضاء الوقت خرجت بيتي برفقة جيف مراراً وتبين لجاني ان ليو ما زال يسهر حتى ساعة متأخرة من الليل.

استمر الطقس بحرارته. وبدأت جاني تقلق لرؤية امها وقد انهكها الحر خاصة في فترة العصر حين تبلغ الحرارة اوجها.

اما بول فلا تقلقه شدة الحرارة ابداً. لا بل كان يتابع تطورات الطقس بواسطة ميزان. فكلما ارتفعت الحرارة اشتدت بهجته.

ما زال السياح يقصدون آراكيرو ويتذمرون من حدة الشمس.

«يتذمر السياح باستمرار».

هكذا قال ايان باولن عند دخوله البيت. واستطرد:

«هطلت الامطار بغزارة السنة الماضية، فتذمر السياح والقوا اللوم علينا. هذه السنة، الشمس مشرقة باستمرار لكنهم ما زالوا يتذمرون».

«ان طقساً كهذا ينهك الاعصاب».

اجابت جوي.

«اتشعرين بالتعب يا عزيزتي».

«بدأت احتمل الحرارة اكثر من قبل. ما رأيك في الذهاب الى الخليج حيث النسيم يلطف الجو ويخفف من حدة الحرارة».

كانت جوي على صواب. وعندما وصلا الى الشاطئ، كان المكان منعزلاً.

بعد حين لمحت جايني من بعيد ثيو كاريتختون يقترب من الشاطىء. كانت جايني برفقة بول بمفردها.

وعندما وصل ثيو حيث جايني وبول، ألقى عليهما التحية وسأل عن حالة الكلاب فأجاب بول:

«انها بخير. لقد وجدنا لها اماً ومأوى».

فقال ثيو:

«خبر سعيد».

ثم تابع قائلاً:

«لقد توصلت لمعرفة من تركها على الشاطىء بهذا الشكل».

«صحيح؟».

صاحت جايني، وقد لاحظت الغضب على وجه ثيو.

«ومن ؟».

سأل بول بالحاح.

«لا حاجة لك لتعرف ذلك. لكن تأكد ان الأمر لن يتكرر».

ومن خلال التعبير الذي ظهر على وجه ثيو لازم بول الصمت وفعلت جايني بالمثل، عالمة تماماً ان ثيو قد عالج الأمر بطريقته مما جعلها تشعر بالشفقة تجاه الاشخاص المعنيين. نظر ثيو الى جايني وقال:

«تبدين جميلة اليوم. الا تحتاجين الى قبعة لحمايتك من الشمس؟».

قال بول ساخراً:

«لا حاجة لها الى قبعة اطلاقاً فهي مطلية بسائل يمنع اشعة

الشمس من احتراق جلدها».

ابتسمت جايني ولم ترد. كانت تشعر ان وجود ثيو قربها قد افقدها قدرتها على التصرف بطريقة طبيعية. وضع ثيو ذراعه فوق كتفيها وتابعا معاً سيرهما الى حيث يجلس السيد والسيدة باودن.

«في رأيي ان بشرتك ملساء كالحرير».

قال ثيو والابتسامة تعلو وجهه.

اخذ بول بيده كومة من الحجارة والقاها في البحر قائلاً:

«لقد نجحت في ايصال اربعة حجارة الى الماء. هل انت قادرة على ذلك يا جايني؟».

فكرت جايني انها فرصة سانحة للابتعاد عن ثيو قليلاً، فقد بدأت تفقد ما تبقى من اتزانها. اخذت بعض الحجارة بيدها وتوصلت لرمي اثنين في الماء. فقال بول باستهزاء:

«كانت رميتك افضل من ذلك بكثير. يبدو انه عندما تنمو الفتيات يفقدن قدرتهن على الرمي الصحيح».

ضحك ثيو واجابت جايني:

«كيف تصدق خرافة كهذه؟ لا ادري كيف ستصبح طبيباً يوماً ما وانت ما زلت على هذا المستوى من التفكير».

ابتسم بول واجاب:

«كنت احاول ايجاد حجة لفشلك».

ثم تابع مغيراً الموضوع ومخاطباً ثيو:

«ثيوا ما رأيك في مسابقتي في السباحة؟ سأسابقك الى هذه الصخرة هناك».

وانطلق بول باسرع ما يمكن.

«من اين له كل هذه الحيوية؟».

قال ثيو. كانت جايني تشعر بارهاق، خاصة ان ثيو وضع ذراعه حول كتفيها من جديد مما اوصل في عروقها مشاعر الليلة حاولت مقاومتها فاجابت بسرعة:

«ارجو ان تكون من يجيدون السباحة، فبول سباح ماهر ولن يرحمك اذا فشلت في سباقه».

«لا تخافي اجيد السباحة ايضاً. لا اعتقد انه سيسبقني».

«هل انت دائماً واثق من نفسك الى هذا الحد؟».

اطلق ثيو ضحكة خفيفة واجاب:

«لماذا تسألين؟ هل تزعجك ثقتي بنفسي؟».

«لا ابداً. فاني احسدك على ذلك».

«من اين لك هذه العقدة بالنقص؟ اعتقدت اولاً انها ناتجة من اهلك. لكنه اتضح لي انهم يظهرون مودة خارقة تجاهك».

تكره جايني لهجة ثيو عندما يبدأ بتحليلها. ابتعدت عنه، لكنه سرعان ما التقط ذراعها بقوة وشدها نحوه. صاحت معترضة فبادرها بالقول:

«ليكن هذا درساً لك. اعلمي اني معجب بك كما انت».

«لكنني لست معجبة بنفسي».

«لا تستخفي بنفسك على هذا الشكل».

تابعا سيرهما ثم قال ثيو:

«غريب كيف الشوق لضمك بين ذراعي. فانت جذابة،

ذات قامة رائعة وبشرة ملساء ساطعة. كلها عناصر تجعلني اعجب بك الى حد كبير. لست شقيقتك الحسناء الفاتنة الوحيدة في عائلة باردن».

عجزت جايني عن التعليق عما قاله ثيو لانها اقتربا من حيث كان والداها. فحياهما ثيو واستغرق الجميع في الحديث.

٥ - الكاتب المقنع

كانت جايني تسبح في الماء عندما سمعت صوت سيارة تترك الشاطىء. وعندما رفعت رأسها لترى بوضوح اكثر، وجدت لشدة دهشتها ان اهلها قد غادروا في السيارة بدون ابلاغها.
اقترب منها ثيو وقال:
«لقد غادر اهلك لزيارة عائلة سينكلير. وعدتهم باصطحابك الى البيت».
«شكراً».
أجابت جايني بصوت جاف، وقد اغضبها انفرادها مع ثيو من جديد. اتهمت اهلها قلياً بخيانتها. فهرعت تسبح نحو الشاطىء بأقصى سرعتها. كانت تعلم ان ثيو يتبعها. وما

برحت ان وصلت الشاطئ، حتى امسكها ثيو بذراعها ضاغطاً عليها بقوة وفي عينيه شرارة غضب شديد.

«وماذا تفعلين؟».

«لا شيء. . . .» صاحت محاولة الافلات من قبضته. «ربما كنت ارغب بزيارة عائلة سينكلير. ألم تفكر بذلك؟».

«ولماذا؟ قالت لي امك ان زيارة عائلة سينكلير لن تهمك. لكفي عن التصرف كطفلة فقدت دميتها».

يؤلم جايني اتهامها بالتصرف كطفلة بينما الشعور الذي يمزق قلبها هو شعور فتاة ناضجة. تملكتها رغبة بالمقاومة فانهالت عليه بالضرب بكل ما لديها من قوة. ثم حاولت الفرار فأمسكها بعنف والقاها على الرمال. استمرت جايني تقاوم مما ارغم ثيو على استعمال قوته للسيطرة عليها. استغل الفرصة هذه ليطبع قبلة . . . لكنها لم تكن . . لطيفة بل اعتداء افقد جايني صوابها وشرعت تصرخ محاولة الهرب. لكن ثيو كان مصراً على بقائها فقال:

«انك تنالين ما تستحقين».

غمر قلبها الخوف. اصبح ثيو عدواً لها وكأنها ايقظت شريراً من اعماقها. كفت جايني عن مقاومته. سرعان ما تلاشت شرارة العنف من عينيه وحلت محلها نظرة شوق وهيام، استجاب لها قلب جايني. فأغمضت عينيها واسلمت روحها له راغبة ان يصبحا معاً جسداً واحداً. لكن ثيو ابتعد عنها فجأة وقال:

«آن الأوان ان تعلمي ان اثارة عواطف اي رجل تؤدي الى

متاعب».

«لكنني . . . .».

اوقفها عن الكلام متابعاً:

«حتى لو انها اثارة بريئة».

تنهد ثيو ثم اضاف:

«تفقدين صوابك يا جايني. لكني سأقاوم رغبتي الجامحة بامتلاكك. لا تنظري اليّ هذه النظرة الكئيبة وكأنني طعنتك في الصميم».

«هذا ما فعلته».

«الحب طعنة لذيذة. لكن هنالك عالم شاسع بين الحب الحقيقي والشعور الذي جرفنا معاً. لم يكن سوى رغبة جامحة لا اكثر».

اغرورقت عينا جايني بالدموع وشعرت بخجل رهيب.

«جايني. دموعك ثمينة جداً ولا استحقها. اعذريني، لقد تسببت كلها قلة خبرتك في الحياة. هل تسمعيني؟».

كانت جايني قد استردت انضباطها وجلست شامخة الرأس، محاولة التمسك بما تبقى لها من عزة نفس وكبرياء.

كبرياء منعها من الاعتراف لنفسها بأنها واقعة في حب ثيو، وانها اعتقدت للحظات معدودة ان الشرق الذي ارتسم في عينيه دليل كاف لحبه لها. بالطبع اخطأت في حكمها. فثيو رجل دمغته الحياة، بينما لم تكن هي سوى فتاة ساذجة اثارت فيه نزوة حيوانية، اضطرت لتحمل عواقبها. على الأقل، تصرف ثيو تصرفاً نبيلاً، وحكم عقله قبل ارتكاب غلطة لا

تنتظر. كان بوسعه ان يجردها من مبادئها. تلك المبادئ التي اوشكت ان تفقدها في اول فرصة تعرضت بها للتهديد. بدأت تقدر موقف غيرها من الفتيات اللواتي يهبن انفسهن كلياً لمن سيطر على قلبهن. لن تشمئز منهن بعد اليوم ولن تسمح لنفسها بالخضوع لهذا الاذلال مرة اخرى ابداً.

«نعم اسمعك يا ثيو. لكن لا داعي لك للشرح. رغم اني جاهلة لكنني لست غبية الى هذا الحد. لقد سبق ان حذرتني امي من بعض الوقائع الحياتية. لا بد ان اعترف انني ما كنت اتوقع... حسناً، انه من السهل نسيانها».

«حسناً! الآن انتهى الأمر».

وقف ثيو ومد يده ليعاون جاني على الوقوف. توجها معاً الى سيارته. تجنب كلاهما النظر الى الآخر، وعندما التفت حولهما [illegible] ثيو ثم اقترب من جاني وطبع قبلة على وجنتها قائلاً: «يوماً ما، ستلتقين رجل [illegible] لاحلامك. حتى ذلك اليوم لا تخاطري بإثارة عواطف اي رجل كان. قليلون هم الرجال الذين بوسعهم مقاومة غريزتهم».

«تعني ان امثالك قليلون. في اي حال اشكرك».

«تشكرينني لأني لم استغل الموقف؟».

«نعم».

ضحك ثيو واجاب:

«لا يفقد كل الرجال صوابهم اول ما تستجيب لهم فتاة، برغم انه لاقدامهم الشخصية ان يتظاهروا بذلك. في اي حال كنت في مأمن برفقتي. ليس من عادتي اغراء فتاة في سن

القرابة مثلك، حتى لو اني فقدت صوابي اليوم وعاملتك كامرأة».

انكمش قلب جاني لسماعها ما قاله ثيو وتحول حبها له الى كراهية. لم تعد تريده بعد اليوم. لتأخذه بيني اذا شاءت او اذا استطاعت ان تجد الطريق الى قلبه.

تحول نظر جاني الى البحر بعد ان مات الحديث بينهما وطردت من رأسها كل الأفكار التي تخص ثيو. وفي المساء بعد ان انفردت جاني بنفسها استرجعت تفاصيل ما حدث على الشاطئ، عصر هذا اليوم التاريخي. كانت ترتدي ثوباً للنوم فضفاضاً، هديتها لعيد الميلاد من بيني. كان رائع الجمال يضيف اليها شعوراً بالانوثة. ارادت ان ترتديه لأنه يذكرها بالشوق المسحور في عيني ثيو، فهو ايقظ المرأة النائمة في داخلها. [illegible] تلك اللحظات [illegible] ثيو، [illegible] بلغة لن تقدر [illegible] جاني [illegible]، همست بصوت وكأنها تخاطب ظلام الليل: وانهمرت الدموع من عينيها. مضى وقت طويل قبل ان تستسلم للنوم.

وفي صباح اليوم التالي، كان نادي الزوارق يستعد لسباقه السنوي. غص المرفأ بالمتسابقين وزوارقهم. استعد الجميع لحضور هذا الحدث المشوق. وصلت جاني وسام، وسرعان ما انهمك سام بالاستعداد للسباق، ووجدت جاني نفسها برفقة كارين مور، تعاونها في بيع المرطبات وغيرها.

«ما هي الا ساعة وننتهي من هذا العمل. تبدين جميلة يا جاني».

ابتسمت جايني موافقة. كانت ترتدي تنورة متعددة الألوان وقميصاً قطنياً ذهبي اللون.

«الظهر رجال الاطفاء قلقاً كبيراً هذه السنة. يخشون وقوع حرائق نتيجة الجفاف الحالي. تحترق الأرض للأمطار...».

واستمرتا على هذا الحال، تتبادلان الأحاديث والنكات ثم قالت كارين:

«ها هو الشاب الأنيق برفقة فيل تالبوت. هل هو صديق عائلتك؟ أتعتقدين انه سيشترك في السباق».

قبل ان تجيب جايني ظهر ثيو وبرفقته بيني مرتدية بنطلوناً قصيراً وقميصاً.

سألت كارين:

«تبدو اختك رائعة كالعادة. ما هو نوع علاقتها بثيو؟».

«لا ادري بالضبط. فثيو من النوع الذي لا يكتفي برفقة فتاة واحدة».

«ويفضل احاطة نفسه بعدة حسناوات».

ضحكت كارين ثم استطردت قائلة:

«تصر امي على ان اعاشر شاباً آخر غير مارك. لكن الحقيقة هي انني لا ارى مبرراً لذلك. تعرفت على مارك منذ اربع سنوات وما زلنا سوياً. اشعر بفراغ كبير من دونه».

ابتسمت جايني. كارين ومارك شخصان نادران. تقابلا واكتملت احلامهما. ترفضا تغيير الوضع بينهما. سيتزوجان بعد سنوات معدودة ويعيشان سعيدين الى الأبد. شعرت جايني بالحسد. فكارين لن تعرف ابداً الحزن الذي تعاني منه جايني،

والذي اصبح جزءاً من حياتها. يتمزق قلبها لرؤية ثيو وبيني معاً. اقتربا منها بعد لحظات قليلة وعلى وجه ثيو ترتسم ابتسامة ساخرة وفي عينيه غموض. كأن الشوق الذي سكن داخلها البارحة لم يكن سوى وهماً في مخيلة جايني. ابتسمت جايني وردت التحية ثم همت بالذهاب عندما نادتها بيني قائلة:

«سيشترك ثيو في السباق وهو بحاجة لمن يدله على الطريق ويحذره من الصخور. فما رأيك يا جايني؟ انت تعرفين الطريق جيداً».

وثيو لا يبالي. رمقها بنظرة قاسية قبل رحيله وكأنه يؤنب قلة ثقتها به.

لم يربح ثيو السباق لكنه ابدع بمحاولته. وقال مارك بعد عودته من السباق:

«لو كنت املك نوروود لرحلت بها حول العالم انها سفينة رائعة ومتينة. ثيو بحار ماهر، يعرف تماماً كيفية قيادة سفينته وهي تتجاوب مع طلباته».

وضع سام ذراعه فوق كتفي جايني وقال:

«ارى انك بحاجة لشراب مرطب يا جايني. فماذا تفضلين؟».

«عصير الليمون، شكراً يا سام».

ذهب سام لشراء العصير وتوجهت جايني برفقة كارين ومارك للجلوس تحت ظل الاشجار. فقالت كارين:

«انظري يا جايني. الا تعتقدين ان بيني وثيو يستمتعان برفقة بعضهما؟».

القت جايني نظرة سريعة واجابت:
«نعم. يبدو انهما ينسجمان معاً الى حد بعيد.
«يتمتع كلاهما بحسن المظهر. بيني اشبه بعارضة ازياء وهو كفرسان اسمر جذاب، مثير وشديد الثقة بنفسه».
اطلقت كارين ضحكة ثم اضافت:
«انه مثير جدا مما يجعله لا يناسبني ابداً. فهو يملك شخصية صعبة الاستيعاب. اما بيني فتناسبه اكثر لأنها تعرف كيف تتصرف مع الرجال. بالنسبة اليّ، افضل رجلاً مثل مارك، مجرداً من الغموض، سهل المعشر وبعيداً عن التعقيد».
اعجبت جايني بالطريقة التي وصفت كارين بها ثيو وتساءلت كيف تغير الموضوع قبل ان تلاحظ كارين صمتها المشكوك به. فتنهدت بارتياح عند رجوع سام ودار الحديث حول مواضيع مختلفة. لكن كيفما واينما نظرت جايني حولها وقع نظرها على بيني وثيو يقضيان وقتاً ممتعاً. وحين رست في المرفأ آخر سفينة، كانت جايني قد فقدت ما تبقى لها من الجهد جسدياً وعقلياً. حتى الألم داخلها فقد حدته. كان من السهل، كما اكتشفت، ان تخفي كآبتها وتتظاهر بالفرح. لكن سام سألها مستغرباً:
«هل انت بخير؟».
«طبعاً لماذا؟».
«تبين لي انك منزوية على نفسك اكثر من العادة. لم يسبق ان لازمت الصمت الى هذا الحد من قبل».
اجابت جايني بقسوة:
«تعلم انك لست مرغماً على الخروج برفقتي».

تنهد سام وقال:
«لا شك ان الوضع تغير بيننا. لا يبقى شيء على حاله كما تعلمين. اعتقدت ان صداقتنا ستستمر في النمو لكنني اخطأت. فأنت تغيرت كثيراً يا جايني، كما انني لم اعد الشخص نفسه».
«اذن؟».
«اذن لنترك الأمور تأخذ مجراها الطبيعي».
وعندما انفردت جايني بنفسها بدأت تستعد لحفلة المساء. ساورها شعور حزين ان صداقة الطفولة التي جمعتها مع سام لسنوات عديدة اوشكت ان تنتهي. فكما قال سام: كل شيء يتغير وهي فعلاً تغيرت الى حد بعيد. ثيو كارينغتون هو السبب. ارتدت ثوباً للسهرة يناسب قامتها ولون بشرتها. لكنها احتارت كيف تصفف شعرها. فجأة دخلت بيني الغرفة.
«دعيني اصفف شعرك».
وما هي الا لحظات حتى حولت بيني شعر جايني الى تسريحة تتناسب مع الثوب، وتضيف اناقة لم تألفها جايني من قبل.
«تبدين رائعة. دعيني احضر لك بعض ادوات الزينة».
ذهبت بيني واحضرت قرطاً وبعض ادوات التجميل. وعندما انتهت كانت جايني اشبه بحسناء رائعة. فقالت بيني والابتسامة تعلو وجهها:
«لن يعرفك سام. اخشى ربما تكون الصدمة قاتلة».
ضحكت جايني وهي تنظر الى نفسها في المرآة. تبدو مختلفة تماماً. شعرت بسعادة لا توصف، خاصة ان ثيو سيراها على

هذا النحو. على الأقل لن يتذكرها كما تبدو عليه عادة الشبه بحصى في بنطلون قصير وشعر مهمل. وتذكرت عائلة باودن لحضور حفلة نادي الزوارق. اعطت بيني علماً لأهلها ان تيو سيتولى امر احضارها الى البيت بعد الحفلة. كانت بيني تتألق في ثوب رائع، فلا حاجة لها لأي مساعدة اضافية لتحسين منظرها. وتذكرت ما قالته بيني فانكمش قلبها واضطرت لاخفاء وجهها كي لا تبوح عيناها بالألم العميق الذي يعذبها.

كان الطقس ما زال حاراً. لكن نسمة الهواء الآتية من البحر كانت تلطف الجو. وفي طريقهم الى الحفل، تأملت جاني الطبيعة حولها. ما زالت الأرض تنتظر الأمطار بفارغ الصبر وتحتاج للأمطار بشدة. قالت جوي وكأنها قرأت افكار ابنتها. زيز الحصاد يملأ الغابة. اتت به الحرارة والجفاف باكراً هذه السنة.

توقفت السيارة عند مدخل النادي وتوجه الجميع الى الداخل، الهواء يفوح برائحة اللحم المشوي، والفرقة تعزف موسيقى يرقص لها القلب. اجتمع شمل جاني وسام ومارك وكارين وغيرهم من الأصدقاء. اظهر الجميع دهشتهم لما تبدو عليه جاني من روعة وسحر. اما سام فلزم الصمت. لم تعارض جاني صمته بل رحبت به لأنها كانت تتجنب الحديث عن علاقتهما. وفي زاوية ما من القاعة كانت بيني برفقة تيو، رمقتها جاني بنظرة سريعة وحاولت ان لا تذكرها. من الطبيعي جداً انهما يقضيان اسعد الأوقات معاً.

سألها سام وهما يرقصان:

«ما بالك لا تتكلمين؟».

«آسفة يا سام. اعلم اني رفيقة مملة».

«الحقيقة انفضل صمتك على الاستماع الى كارين طيلة المساء. لا ادري كيف يتحملها مارك».

نظرت اليه جاني بدهشة. لم يسبق لسام ان كان لاذعاً بكلامه من قبل فأجابته:

«أمر اعتاد عليه. الا تعتقد انها امسية ناجحة؟».

«يا عزيزتي، امسية رأس السنة تنجح دائماً».

«يظهر ان الجميع يقضون وقتاً ممتعاً».

«على الأخص تيو وبيني».

اومأت جاني برأسها وغيرت الموضوع. خلال الحفلة رقصت جاني مع والدها ثم وجدت نفسها بصحبة مجموعة من الاصدقاء يتبعهم تيو وبيني. كانت جاني تحتسي شراباً من عصير الحامض وتستمع الى الأحاديث المختلفة. لاحظت ان بيني يغمرها السرور والبهجة، وفي عينيها بريق لا يهدأ. تساءلت جاني عما يجري في حياة شقيقتها التي كانت دائماً مسيطرة على حياتها العاطفية. ويبدو الآن انها استسلمت كلياً لسحر تيو وبانت سجينته اما بالنسبة اليه فيصعب قراءة افكاره. كان وجوده يملأ القاعة. ترى ما هو السر وراء جاذبيته التي لا تقهر. لاحظت جاني امرأة تحاول لفت انتباه تيو. كانت في متوسط العمر، نحيلة وانيقة. وحين التقى نظرها بنظر تيو اقتربت منه قائلة:

««سيد كاريتكتون! انا سارة تورنر. لقد تقابلنا خلال

حفلة، اعدها الناشرون لترويج كتابك الثاني».

ساد الصمت بينما تابعت السيدة تخاطب الجميع الذي يحيط ثيو:

«امر مثير، وجود السيد ثيو برايدي في رفقتكم. انتوي اصدار كتاب جديد محوره هذا المكان يا سيد كارينغتون؟».

٦ - اسيرة الحب

انتهت الحفلة وتوجهت جاين برفقة سام الى السيارة لتعود الى البيت. اشارت الساعة الى الثانية بعد منتصف الليل. كانت المفاجأة التي تلقاها الجميع في الحفلة مستولية على افكارها.

ثيو برايدي، الكاتب الشهير. كتب اربع روايات لاقت رواجاً كبيراً. وحسب قول النقاد، تحتوي هذه الروايات على وقائع حقيقية من حياة الكاتب. كانت جاين قد قرأت كل كتاب اصدره ثيو برايدي. ومعرفتها ثيو كارينغتون جعلتها تؤيد قول النقاد بدون اي شك. اظهر ثيو غضباً شديداً عندما ازيح الستار عن شخصيته المستترة. وحاول بلطف التخلص

من السيدة تورنر. وعندما كان يرقص مع جايني جعله صمتها يسأل مستفهماً:

«ما بالك؟ هل فقدت لسانك؟».

«لا، اجابت بأدب، لكنني اجهل كيفية مخاطبة كتاب مشهورين مثلك. آسفة».

ابتسم ثيو واجاب:

«هل استنتج من كلامك انك غاضبة مني؟».

«لا طبعاً. ولماذا اغضب عليك؟».

«ربما كنت تفضلين معرفة سري الرهيب مني شخصياً بدلاً من اكتشاف الحقيقة على يد شخص غريب».

شعرت جايني باستياء لفور معرفتها للحقيقة لكن بما انها لا تعني شيئاً لثيو، فليس هناك اي مبرر لاعلامها عن هويته الحقيقية. فأجابت رداً على قوله:

«ليس هناك ما يجبرك على أن تكشف لي اي سر من أسرارك».

«صحيح. عادة افضل استعمال اسمي الاصلي خاصة خلال السفر، اذ يتصرف الناس بطريقة مصطنعة عند وجودهم مع اي كاتب محترف. يعتقدون انني ادون كل المعلومات التي يبوحون بها عن انفسهم. في اي حال لنتحدث عنك الآن. تبدين رائعة الليلة. اخبريني بحق انها سبب هذا التطور».

«صحيح. يسعدني ان التغيير يروقك».

«يروقني؟ لا اعتقد ان قولي يهمك. من الارجح انك تحاولين اعجاب سام. اظن انك نجحت في محاولتك. تأكيداً

على ذلك، نظرة سام العدائية التي رمقني بها منذ لحظة».

قنعت جايني من تغير الموضوع وهزت كتفيها لا مبالية. جذبها ثيو نحوه بشدة قائلاً:

«لنعطي غيرته اذاً مبرراً اكبر. ما رأيك؟».

ووضع ثيو وجنته فوق وجنة جايني، محكماً قبضته حول خصرها. تملك جايني غضب شديد لكنها ما برحت ان استردت السيطرة على نفسها ونسيت انها بين ذراعيه. حملتها قبضته الى عالم مسحور تود لو تمسكه الى الابد. وفي هذا الحين بدأت الفرقة الموسيقية تعزف لحناً رومنطيقياً وخفتت الأنوار. ارتعشت جايني حين شعرت بأنامل ثيو تلامس شفتيها. جذبها نحوه بقوة جعلتها تبتعد عنه قائلة:

«ثيو».

لكنه تجاهل نداءها وشدها نحوه من جديد مبتسماً. فصدته جايني محاولة الفرار. نظر اليها ثيو بسخرية وقال:

«يا لك من جبانة».

«ربما. لكنني لم افقد صوابي».

«غلطة، فلو لم تفقدي صوابك لما رقصت معي. فانت مشهورة تماماً مثل اختك».

كان صوته قاسياً وعيناه مجردتين من اي لطف ونعومة.

حاولت جايني استرداد انفاسها. وقبل ان تسأله عن معنى كلامه سطعت الأنوار من جديد وانتهت الموسيقى. امسك ثيو يدها واعادها الى اصدقائها. كم كرهته وتمنت لو تنهال عليه بالضرب ثم تطلق العنان لدموعها السخية.

بعد اكتشاف هوية ثيو الحقيقية اصيب الجميع بالدهشة. بات ثيو محور الحديث. تساءل الجميع عن ثروته، عن حياته المثيرة، عن القصص في كتبه. اشمأزت جايني من فضول الناس وثرثرتهم. اسعدها ان سام لم يصب بالعدوى نفسها. لكن سعادتها كانت قصيرة الامد. ففي طريقهما الى البيت سألها سام:

«هل اخبرك ثيو عن السبب وراء اخفائه لشخصيته الحقيقية؟».

«اراد المحافظة على عزلته. عرف في الحقيقة ثيو كار بفتون، ثيو برايدي اسمه الفني فقط».

«ما زلت اعتقد انه اخطأ في تصرفه. ربما اراد ان يكون موضوعياً. فأي كاتب يكتب مثل رواياته يحتاج الى العزلة».

«ارجو الا تبدأ انت ايضاً بتحليله».

قالت جايني وقد اغاظها ما سمعته طيلة الحفلة من اقتراحات وافتراضات حول حياة ثيو.

«كما تريدين. لكن يكفي النظر اليه لمعرفة خبرته الواسعة في الحياة».

«اعلم ذلك. في اي حال لماذا يهمك امره الى هذا الحد؟ اتخشى ان اكون واقعة في حبه؟».

قالت جايني وهي تعلم انها تطرقت لموضوع خطير. فسام حاذق في تحليله للعلاقات الانسانية. اخافها صمته لوهلة واعتقدت انه اكتشف سرها لكنه اجاب بحذر:

«لا. لكني واثق انه يدهشك. فهو رجل يثير الدهشة. وعله

ميزة تساعده على اكتساب افكار جديدة لرواياته. يبدو ان له تأثيراً قوياً على بيتي. فلأول مرة في حياتها تقابل بيتي رجلاً لم يفقد عقله لاجلها. اهتزت ثقتها بنفسها لانها تجهل كيف تقوى عليه».

«ليست بيتي بلهاء الى هذا الحد. صحيح انها معجبة بثيو لكنه شعور متبادل الا تعتقد ذلك؟».

«نعم. قليلون هم الذين لا يتأثرون بسحر بيتي. لكن يعتبرها البعض قاسية وخادعة. فهي كالوردة دون عطر. اشبه بتلك الازهار الجميلة الحديثة. تبدو رائعة وتعجب الجميع. لكن تجدين ان الجميع يفضلون الازهار العادية المألوفة التي تنمو في حدائقهم فرغم مظهرها الاقل جمالاً عطرها اذكى ولونها اكثر صفاء».

عجزت جايني عن الكلام. لم تتوقع ان يكون وصف سام لبيتي على هذا القدر من القساوة. لكنها شعرت بفرح خبيث لانها اكتشفت ان هنالك من ينجو من سحر بيتي. انبها شعورها الخائن تجاه شقيقتها خاصة عندما تذكرت كيف عاونتها بيتي على تحسين مظهرها فأجابت سام بعد لحظات قليلة:

«الا تعجبك بيتي؟».

«طبعاً تعجبني كثيراً. لكنني لا اعتبرها كاملة كما تعتقدين انت. عليك ان تكفي عن جعلها مثلك الاعلى. فان كان مرادك الانطلاق بنفسك في هذه الحياة عليك ان تدركي انك انسانة تتحلين بميزات خاصة بك. ميزات قيمة وذات شأن. حان الوقت ان تتحرري من ظل شقيقتك».

كان صوته ساخطاً لكن جانيي كانت تعلم ما يقصده سام. شعرت بموجة عميقة نحوه. فهو يحاول دعم ثقتها بنفسها برغم طريقته العشواء. وعندما وصلا الى البيت، عانقها سام فاستجابت لعناقه. لكنها كانت تفكر في ثيو واغرورقت عيناها بالدموع. كانت تتمنى لو ان شعورها نحوه لم يكن قوياً الى هذا الحد.

«بمن تفكرين؟».

سألها سام فجأة ثم تابع قائلاً:

«اعلم انك تفكرين بشخص آخر».

«آسفة».

همست جانيي.

«ولماذا؟ لا سبب للأسف ليس من حقي ان اسأل ولست مضطرة للاجابة. تصبحين على خير».

«تصبح على خير يا سام».

قالت جانيي. ثم اقتربت من سام وعانقته. ضحك ثم اتجه نحو سيارته ورحل. هرب النعاس من عيني جانيي واستلقت على العشب وبقربها شاي. كان الليل هادئاً، يفوح عطر الازهار في الحديقة وفي السماء تلمع النجوم كالحجارة الكريمة. تخلت جانيي عن احاسيسها المتشابكة لتتأمل جمال الطبيعة حولها. غمر كيانها شعور بالطمأنينة. مرت دقائق معدودة بدت وكأنها ساعات. تسرب النعاس الى عينيها ونهضت لتأوي الى فراشها، وفجأة لمحت بيني في ذراعي ثيو، يعيشان لحظة مفعمة بالحب والشوق. تجمد الدم في عروقها وحاولت الهرب لكن

شاي قفزت امامها متجهة الى بيني. ضحكت بيني واخذت شاي بين ذراعيها قائلة:

«جانيي. تعالي لقد رأيتك».

حدقت جانيي الليل لاخفاء استيائها الظاهر على وجهها. فوجهت نحو بيني وثيو راجية الا يخونها صوتها المرتعش.

«وماذا تفعلين هنا وفي هذه الساعة؟».

سألتها بيني. فأجابت جانيي مبتسمة:

«كنت اتأمل النجوم. المعذرة لم اقصد مقاطعتكما. لم اعلم بوجودكما هنا».

ضحكت بيني وابتسم ثيو قائلاً:

«هل قضيت وقتاً ممتعاً؟».

اغضبها تصرفه اللامبالي وكأنه يريدها ان تعلم ان من حقه اغواء شقيقتها واغراءها في الوقت نفسه دون الشعور بأي خجل. «يا له من مخادع» فكرت في ذهنها. من الطبيعي انه لم يذكر لبيني تصرفه العاطفي تجاه اختها الساذجة. وهو واثق تماماً ان جانيي لن تقوى على مصارحة بيني بالحقيقة. ربما يحاول ثيو اكتساب افكار جديدة لروايته. حسناً! فكرت جانيي ارجو ان تظهر بيني آخرتها على حدته. وبالنسبة اليها سيجد انها لن تسمح له بمجرد لمسها بعد الآن. رفعت رأسها بغضب واجابته باستهزاء:

«نعم. امضيت وقتاً سعيداً. لا شك ان هذه الأمسية علمتني الكثير».

سألت بيني:

«صحيح. اعتقد ان الجميع يشاركك هذا الرأي. هل انت ذاهبة للنوم الآن؟».

«بكل تأكيد. تصبحان على خير».

ودخلت جاني غرفتها وما زال قلبها يخفق بسرعة حتى سمعت خطاهما تبتعد فهدأت قليلاً. وقبل ان يغلبها النوم، صممت جاني على ان تبعد تيو عن حياتها كلياً. فهو يهدد سلامة مستقبلها وطمأنينته. وما عليها الا ان تتذكر انه تيو برايدي هو الكاتب المجنون. هكذا تسيطر على قلبها الطائش. في اي حال فكرت جاني ان ما يشدها اليه ليس سوى جاذبية سطحية. ليست هي اول فتاة تقع في مصيدة رجل وسيم ومتهور مثل تيو. لكنها ما لبثت ان ناقضت افكارها. فتيو لم يحاول خداعها حتى انه حذرها. فلماذا تتهمه بالخيانة. ربما الخيانة صادرة من نفسها، مما كانت تتمناه، من رغباتها ان يعتبرها تيو اكثر من مجرد جاذبية سطحية. لم يظهر لها تيو اي حب حقيقي ولا شيء يمنعه من اغواء بيني. رغم ان تصرفه تعوزه اللباقة.

«هل احرجنا موقفك؟».

سألتها بيني في صباح اليوم التالي. كانت جاني ما تزال في فراشها فأجابت:

«لا. لكن من المستحسن انذار الآخرين بوجودكما لتفادي اي احراج».

ضحكت بيني واجابت:

«انضع يافطة تقول: ممنوع المرور؟».

اقتربت بيني من النافذة لتلقي نظرة الى الخارج واستطردت قائلة:

«يلهلني هذا الرجل، لانه لا يكترث. جعلني اشعر وكأني اطارده وانه استجاب لمطاردتي لانها تروق له. لا يعجبني هذا الامر ابداً».

اومأت جاني برأسها وقالت:

«افهم شعورك».

ابتسمت بيني واجابت:

«لكنني مصممة على اخضاعه لمشيئتي. ما هي الا مسألة وقت. كيف تلقيت المفاجأة عن هوية تيو الحقيقية؟».

«الحقيقة لم يدهشني الخبر. فلم اصدق يوماً ان تيو مجرد بحار متشرد».

«افهم ما تعنين. فهو حيوي وذو مقدرة فيمة على الخلق والابداع. امثاله لا يكتفون بحياة تشرد دون اي هدف. هل قرأت احدى رواياته؟».

اومأت جاني رأسها واجابت:

«نعم. وانت؟».

«قرأت جميع رواياته. انه كاتب موهوب. لا شك ان لديه من المال ما يؤهله اقتناء سفينة رائعة مثل تورورا يطوف بها العالم».

وعندما انهت بيني حديثها لازمت جاني الصمت اذ اكتشفت ما كانت تخشاه لمدة طويلة: وقوع شقيقتها في حب تيو. يدل حديثها على انها بنت قصوراً على الرمال. تحلم بيني

بأن تصبح زوجة ثيو في المستقبل. تقلص قلب جاني وتشابكت الافكار في رأسها. فكرة زواج بيني من ثيو اقسى من ان تتحملها. اغمضت عينيها وحاولت النوم من جديد لكن توتر اعصابها منعها من الاسترخاء. عادت بيني الى الغرفة وفي يدها صينية محملة بالقهوة والخبز المحمص. كانت جاني قد توصلت الى نتيجة واحدة بعد كل التفكير. شعورها نحو ثيو اقوى واعمق من مجرد اعجاب وجاذبية سطحية. فعندما رأته يعانق بيني غمر كيانها شعور بالأسى واحست كأن روحها غادرتها. اهذه المعاناة ضرورية لنضوجها كامرأة؟ اعليها ان ترى جميع احلامها تتلاشى امام الحقيقة المرة؟ بالأمس قبل ان يدخل ثيو حياتها كانت تعتقد ان الحب فرح، التقاء عقلين وجسدين وروحين، مشاركة حنان لشخصين. وربما هذا ما حصل مع ثيو الانسان الذكي، الشائق، رغم لؤمه وسخريته. لكن ذكريات تلك الأوقات السعيدة، شوهها الألم والأسى وتلاشي الأوهام وموت الامنيات. رؤية ثيو مع بيني تزاح عقلي وروحي اقوى من ان تتحمله جاني.

قالت بيني:

«تبدين كئيبة وشاحبة اللون. اتعانين من قلة النوم؟».

«لا. انها كثرة التفكير فقط».

ضحكت بيني وقدمت القهوة لجاني قائلة:

«اذكر كثرة التفكير التي يعاني منها المراهقون. هل قررت ما ستفعلين؟».

«لا. لا اعتقد اني سأقوم بأي شيء يذكر فلا اصلح

لشيء».

«هراء. تعلمين جيداً انك حصلت على علامات جيدة في اللغة الانكليزية والتاريخ والموسيقى. انطلاقاً من هذه الفكرة، حاولي اختيار حقل ترغبين العمل فيه».

«احب المطالعة والسفر في البحر والصيد والعمل في الحديقة، وحل الكلمات المتقاطعة».

ابتسمت جاني لرؤية الدهشة على وجه شقيقتها. لكن بيني قالت:

«حسناً. انها بداية على الأقل. لا تنسي انك تحبين الموسيقى ايضاً. دليل على ذلك مجموعة الاسطوانات المتعددة والمختلفة التي تملكينها. لا بد ان هنالك حلماً يداعب مخيلتك منذ الصباء».

«احلم بالسفر على متن سفينة اطوف بها جزر المحيط».

«ولكن ما هو حلمك الكبير بالنسبة الى عمل؟».

«لا احلم بشيء خاص. اريد ان يكون عملي مفيداً ومثيراً».

نظرت اليها بيني باعجاب وقالت:

«افهم ما تعنين. تنظرين لمستقبلك بنظرة جدية، لكن مشكلتك الوحيدة هي قلة ثقتك بامكانياتك الشخصية، وانعدام مؤهلاتك العملية. ما رأيك في الالتحاق بالمعهد التجاري في اوكلاند؟ فعندما تتخرجين، تجدين مجالات عديدة للعمل. سيكون بوسعك الضرب على الآلة الكاتبة والاختزال ومسك الدفاتر. ربما يمكنك العمل كسكرتيرة لثيو خلال سفره».

ضحكت بيتي وارغمت جاني نفسها على الابتسام، ثم اجابت.

«انت على حق. يجب ان اتدرب على اي عمل ما، حتى لو كان يعني ذلك اني ساعمل في مكتب طيلة حياتي».

«كثيرون يستمتعون بالعمل في المكتب. هيا، اشربي قهوتك ولنذهب نبشر اهلنا بالخبر».

تلقى والدا جاني الخبر بفرح كبير وقالت امها:

«عليك ان تسكني، خلال السنة الأولى على الأقل، في بيت عمتك كاترين».

لا تمانع جاني السكن مع عمتها، فهي تشعر نحوها بمودة كبيرة.

«اتعتقدين انها لا تمانع في وجودي معها؟».

«لا طبعاً. يسعدها وجودك معها. فهي ترحب بوجودك كي [illegible] هل انت واثقة تماماً من قرارك بالذهاب الى اوكلاند؟».

«نعم. بكل تأكيد. فكما قالت بيتي، احتاج لتدريب عملي».

«حسناً اذاً. عليك ان تعدي نفسك. اولاً يجب شراء ثياب مناسبة».

تساءلت جاني عما اذا كانت امها تلاحظ ترددها في الذهاب الى اوكلاند والالتحاق بالمعهد التجاري. حاولت ان تتظاهر بالفرح لتوصلها الى اعتماد قرار نهائي يخص مستقبلها، لكنها قلبياً كانت تدفن كآبة تكاد ان تقضي عليها.

وفي الأيام التالية خرجت بيتي برفقة جيف ماكدونالد مراراً عديدة قبل ان تعلن انتهاء علاقتها. شعرت جاني بالشفقة تجاه جيف. لا بد انه تلقى درساً قاسياً. انهمكت جاني بالاستعداد لانتقالها الى اوكلاند محاولة طرد تيو من افكارها كلياً.

وانهمك تيو في اموره الخاصة مما منعه من زيارة عائلة بلودن لايام عديدة. حاولت بيتي اخفاء تعاستها لعدم رؤيته. خاصة انها اكتشفت من اصدقاء امها انه خرج برفقة فيل تالبوت مرات عديدة. وتعلق بيتي بتيو بات امراً علنياً. وقلة اهتمام تيو بالموقف بدأ يمزق بيتي ارباً، لكنها احتفظت بيأسها لنفسها وحملت ضحكة مصطنعة على وجهها. كرهت جاني تيو لاذلال صديقتها على هذا النحو. خاصة انه حاول خداعها ايضاً. [illegible] في اعماقها [illegible] لا تقوى على [illegible] تيو كل [illegible] الشبان خطير. [illegible] علاقات مع النساء، [illegible] في [illegible] ثم يتركهن [illegible] غير مبالٍ بدموعهن وتوسلاتهن.

لشدة دهشتها اكتشفت جاني ان امها اعدت لها موعداً مع المسؤولين في معهد التجارة في اوكلاند وطلبت الى تيو ان يصطحبها الى اوكلاند ويعيدها الى البيت بعد يومين. اعترضت جاني بيأس لكن امها اصرت قائلة:

«جاني. هذه افضل طريقة. ووالدك عاجز عن اصطحابك الى اوكلاند فهو لا يحتمل الحرارة في المدينة. سترافقك عمتك كاترين الى مكان المقابلة وستعتني بك. وتيو مضطر بسبب عمله للرحيل الى اوكلاند، وقد رحب بفكرة اصطحابك».

فكّرت جايني بالأمر على مضض ثم سألت:

«ومتى موعد المقابلة؟»

«بعد يومين. يود ثيو الرحيل غداً باكراً قبل ان تشتد الحرارة. فعليك ان تأوي الى فراشك في ساعة مبكرة هذا المساء».

وافقت جايني على هذا الاقتراح وهمّت بالدخول الى غرفتها، في طريقها سمعت بكاء آتياً من غرفة بيني.

ترددت جايني قليلاً. احتارت في امرها. فاذا دخلت الغرفة ربما سيسبب تطفلها احراجاً لوقف بيني، لكنها لا تقوى على ترك شقيقتها تبكي على هذا الشكل بدون ان تحاول التخفيف من حزنها. فقررت الدخول. كانت الغرفة مظلمة، وعندما دخلت جايني، توقف البكاء. فقالت:

«هذا انا جايني. هل تحتاجين لشراب او اي شيء آخر؟».

«ارحلي عني يا جايني. اتركيني في همي».

«لكنني لا اقدر على ذلك. اخبريني عما يعذبك».

«لا شيء».

ولازمت جايني الصمت منتظرة ان تبدأ شقيقتها التي سرعان ما توقفت عن البكاء ومسحت دموعها عن خديها وجلست في فراشها تنظر الى البعيد.

فجأة ادركت جايني الحقيقة المرة. ثيو هو سبب بكاء بيني وتعاستها. سيزلها جداً اعتراف بيني بالسوء الذي سببه لها ثيو. فبعد لحظات قليلة قالت جايني:

«آسفة».

وامتدت يدها تلمس يد بيني بلطف فقالت بيني:

«انت شقيقة غالية. لكنني سأحاول نفسي في هذه الحالة ولا احد يستطيع مساعدتي. فلا تقلقي عني يا جايني».

وساد الصمت بينهما لحظات معدودة ثم استطردت بيني قائلة:

«يتحول الفخر فجأة الى غرور كما تبين لي. كنت احتاج لدرس كهذا يعلمني لأن انظر الى نفسي بتواضع وحياء. فما هي سوى اسابيع قليلة ويتحول حقدي نحو ثيو الى امتنان».

ولسماع اسم ثيو تقلص قلب جايني وقالت بلطف:

«هل تشعرين بتحسن الآن؟».

«نعم».

اجابت بيني ثم تابعت:

«اظهر ثيو كاريبنتون على ان معرفته بالعلاقات العاطفية تفوق معرفتي الى حد بعيد. فهو قاس ولئيم. لا ادري ما يجعله يتصرف على هذا النحو. استغل شعوري نحوه واستعدادي للتجاوب مع نزواته، فاظهر نحوي عاطفة وقتية، ما رحت ان تلاشت سريعاً. لكنه لم يعدني بشيء. فمخططه الآن ان يتجاهل ما حصل بيننا ويتوقع مني ان اقوم بالمثل. وهكذا ينتهي الامر بطريقة متمدنة ولبقة».

كان في صوتها مرارة وحقد. عرفت جايني ان شقيقتها قد بنت قصوراً على الرمال وها هي تحصد اليأس وخيبة الامل. تشاركها جايني الشعور نفسه. لا بد ان ثيو كاريبنتون ضحية الحياة التي عاشها وتصرفه نحو بيني كان لا بد منه. قالت جيني:

«وآسفة».

وأجابت بيني:

«وأنا كذلك، لكنني سأتغلب على بؤسي وأسفي. لحسن الحظ لم يسمح لي الوقت بالوقوع في حبه. أعجبني وتولعت به الى حد بعيد. لم التق برجل مثله من قبل له نفوذ قوي على الآخرين».

تجد جابني انه من الصعب لثيو ان يحب حباً حقيقياً. فهو حريص على الاحتفاظ بحريته واستقلاله. ربما اذا استطاعت امرأة ما على اختراق الجدار الذي نصبه حول قلبه يوماً ما، سوف يتحول ثيو الى حبيب مخلص ومتطلب. فهو يكرس حياته وروحه لحبيبته ويتوقع منها الاخلاص والتفاني بالمقدار نفسه.

«عودي الى فراشك الآن».

قالت بيني مقاطعة حبل افكار جابني ثم تابعت:

«أعدك انني لن ابكي بعد الآن. تصبحين على خير».

ابتسمت جابني وتوجهت نحو الباب لتغادر الغرفة حين قالت بيني:

«يحق للانسان ان يفقد صوابه مرة واحدة في الحياة. انتهت هذه النزوة الآن. تلقيت درساً لن انساه ابداً. تصرفي تجاه جيف لم يكن عادلاً وأسأت اليه اكثر مما توقعت. اشعر بارتياح الآن لانني تمكنت من وضع حد لعلاقتنا فهو يحتاج لطائلة فتاة تناسبه اكثر مني».

وفي طريقها الى غرفتها، فكرت جابني ان ما تعاني منه بيني هو طعنة لكبريائها بينما قلبها لم يلحق به اي سوء.

وفي فراشها أخذت جابني تفكر في سوء حظها. ترك ثيو كاريتفتون في نفسها أثراً لا يمحى. لكن مع ما تشعر به نحوه من غضب وألم وريبة وخيبة امل، هنالك ايضاً شعور جديد لم تعهده من قبل. شعور بالمغفرة. فهي تغفر له ما اساء اليها. وتتشوق لرؤيته وتريده بكل جوارحها. شعور لذيذ. لا شك انها اسيرة حبه.

٧ - جايني تقرر مستقبلها

وفي صباح اليوم التالي، وصل ثيو لاصطحاب جايني. ابتهج قلبها لرؤيته وكأنه شمس اشرقت بعد ايام ممطرة. ادراك جايني لحبها له اعطاها قوة لتواجهه بدون ارتباك. رحبت به والابتسامة تعلو وجهها ودخلت امها الغرفة فجأة وقالت مخاطبة ثيو:

«صباح الخير يا ثيو. هل ترغب بتناول القهوة قبل رحيلك؟».

«لا شكراً يا جوي. علينا ان نغادر حالاً. هل انت جاهزة يا جايني؟».

«نعم».

ودعت جايني امها واستعدت للرحيل.
«لا تنسي الاتصال بي هاتفياً مساء الغد لتخبريني عن المقابلة. بلغي سلامي لعمتك كاترين».
قالت جوي وهي ترافق ابنتها الى السيارة. وانطلقا معاً.
كان الظلام ما زال مخيماً. حاولت جايني الابتداء بالحديث فقالت:
«شكراً لعرضك اصطحابي الى اوكلاند. وفرت علي اي عناء السفر. فهو يكره القيادة».
ابتسم ثيو بسخرية واجاب:
«للحقيقة لم تكن الفكرة فكرتي. امك هي التي نسقت الامر فكان لا بد من موافقتي لتجنب اي احراج».
تجهم وجه جايني واجابت بغضب:
«استتصرف على هذا النحو طوال الطريق؟».
«ماذا تعنين بـ: على هذا النحو؟».
سألها بلطف مصطنع.
«اعني لؤمك المعتاد. فاذا كنت تشاء التصرف بلؤم وسخرية، فسالزم الصمت».
ضحك ثيو واجاب:
«لا يا جايني... ساكون لطيفاً معك. لكنك لست مرغمة على الحديث الا اذا اردت ان تقولي شيئاً يجدر بالقول. اجد صمتك منعشاً تماماً مثل حديثك».
«ارجو ان يكون كلامك من باب المجاملة».

اجابت جايني والشك يساورها. لكن ثيو جاد في كلامه فما لبث ان اظهر لطفاً ولباقة نحو جايني وتبادلا الاحاديث الخفيفة والنكات وشعرت جايني براحة وطمأنينة لوجودها برفقته.
كانت الشمس قد اشرقت والحرارة بدأت ترتفع. وراحت السيارة تنهب المسافات، تاركة وراءها ودياناً وجبالاً مكسوة بالاشجار الخضراء والنباتات المتعددة الألوان. وصلا الى مدينة بريطوروين المحاطة بتلال شاهقة وجبال عالية القمم فانطلقت جايني قائلة:
«عندما كنت طفلة، كنت اعتقد ان هذه الجبال المرتفعة تشكل حدوداً بيننا وبين بقية العالم».
«تعنين بين عالم الخيال وعالم الحقيقة. واي منهما كان عالم الخيال؟».
«نورث لاند طبعاً. وصلنا هنا في شهر شباط. تركنا انكلترا حيث البرد القارس وبلغنا اوكلاند حيث كانت الرطوبة مرتفعة جداً. رافقتنا بعدئذ عمتي كاترين الى آواكينو حيث وجدنا الحرارة مرتفعة اكثر لكن الرطوبة اقل بكثير. سحرني جمال الأراضي الشمالية بوديانها الخصبة وتلالها وبراكينها وبحرها الأزرق. بدا كل شيء فيها ساطعاً وأشبه بجنة عدن. ومنذ ذلك الحين وقعت في حب نورث لاند».
«هل زرت مناطق اخرى في نيوزيلاندا؟».
«طبعاً. اخذنا ابي الى مناطق عديدة خلال عطلة الصيف. لكن الشمال يتحلى بجمال خاص به يجعله فريداً من

لوحده».

«لكل منطقة في نيوزيلاندا جمال خاص يفصلها عن غيرها من المناطق. اوتاغو مثلاً رائعة بانهارها الغزيرة وبساتين المشمش والوانها الخريفية. جزر ستوورت تتميز عن غيرها بمناظرها الخلابة. لكنني اؤيد رأيك. لا تبقى توروث لانها متفوقة على غيرها... ما الذي يجعلك تختارين السكن في المدينة وانت تعشقين الريف؟».

هزت جايلي كتفيها واجابت:

«علي ان اعتاد على العيش في المدينة اذا اردت تحقيق شيء في حياتي».

«وماذا تنوين ان تحققي؟».

«الحقيقة لا شيء... عدا عن....».

«عدا عن ماذا؟».

«حسناً. عدا عما تفعله انت...».

ضحك ليو واجاب قائلاً:

«بودي لو اقبل عرضك هذا لو كنت اصغر سناً».

ارتبكت جايلي وترددت وحيناً ثم اجابت:

«لكنك اسأت فهمي. ما اقصده هو انني ارغب السفر في البحر والتعرف على العالم».

امتدت يد ليو لتلامس وجنة جايلي واجاب:

«مسكينة جايلي. لم اقصد احراجك. آسف. اخبريني اذا ما الذي يدفعك للالتحاق بالمعهد التجاري بينما السفر في البحر هو امنيتك المطلقة؟».

«لانه الباب الوحيد المفتوح امامي. فكما قالت بيني من

الضروري ان اتلقى تدريباً عملياً في حقل التجارة وشؤون المكتب».

«لا شك انها نظرة واقعية تتحلى بها شقيقتك. بينما لسوء الحظ تختلفين انت عنها تماماً».

«صحيح».

«انت فتاة رومنطيقية مثالية يا جايلي. نجحت حتى الآن في تفادي امور الحياة التقليدية فلماذا توقفت؟ حسبت ان شجاعتك لا تقهر».

كان بود جايلي ان تبوح له بحقيقة شعورها تجاه قرارها وكيف انها تمقت فكرة العمل في المكتب.

لكنها تذكرت تصرفه نحو بيني ولاحظت تعابير وجهه المتنقلة بين السخرية والجمود وقلة الاهتمام فتمنعت عن مصارحته واجابت:

«يختلف الأمر بالنسبة اليك فانت رجل مما يجعلك تتمتع بحرية تقرير مستقبلك اكثر مني».

«لكن نساء كثيرات قبلك برهن ان العكس صحيح».

«اعلم ذلك. لكن علي ان اواجه الحقيقة الآن افضل من الغد. من الضروري ان اجد عملاً اذا شئت ان احقق في المستقبل ما ارغبه فعلاً».

«وذلك؟».

«اشياء عديدة افضل بقاءها سراً».

«حسناً اذاً. لن اصر على معرفة اسرارك. لكن يبدو لي انك مصممة على اضاعة حياتك. ستقومين بعمل تكرهينه حتى يأتي

اليوم الذي ستلتقين فيه برجل احلامك وتتزوجين».

انتفضت جاني بغضب واجابت:

«وماذا تقترح ان افعل؟».

«آسف لكني لا اقرر مصير احد. اعلم ان الحياة مليئة بالصعوبات. واقدر ان اعطيك نصيحة واحدة فقط وهي: ان كنت تسعين وراء هدف معين بعزم وشجاعة وارادة قوية، تبلغين هدفك دون شك. لكن عليك اولاً ان تقدري قيمة هدفك واهميته. ترى هل يستحق مكافحتك ومثابرتك؟ احياناً، يصل البعض الى آخر الطريق التي جاهدوا بعزم لاجتيازها ليجدوا بعد ان فات الأوان انهم اخطأوا في اختيارهم».

«اهكذا بلغت غايتك يا ثيو؟ بمثابرتك القاسية العنيدة لبلوغ هدفك؟».

«نعم. يظهر انك لا توافقين. هل تنفرين من الطموح؟».

«لا ابداً».

اجابت جاني محاولة السيطرة على عواطفها. كيف لها ان تخبره ان قساوة النفس هي التي تخيفها وليس الطموح. واستقرت عيناها على يدي ثيو فوق مقود السيارة. يدان تستحقان الثقة. بوسعهما الايذاء والحب في الوقت نفسه. اظهر ثيو قساوة لا ترحم تجاه بيلي. انفصل عنها كلياً فور ادراكه انها بدأت تنظر الى علاقتهما بجدية وامل. وربما احتاج الأمر لمعالجة شبيهة. لكن ثيو أظهر عزماً وارادة متصلبة انزلت الرعب في قلب جاني.

«لا».

اجابت من جديد ثم استطردت قائلة:

«اتشجع نظريتك هذه، على الفرد ان يكون واثقاً من نفسه ومدركاً امكانياته».

«وانت تفتقدين الثقة في نفسك والادراك لامكانياتك اعلى ما تحاولين انجازه؟».

«نعم».

اومأ ثيو برأسه واجاب:

«عاملك والداك وكأنك تفتقدين الموهبة. ونشأت في ظل شقيقتك مما اساء الى نمو ثقتك الشخصية. حتى قرارك هذا ما زال تحريضاً من بيلي. في النهاية من شأنك ان تقرري استعدادك لشق طريقك بنفسك، حتى لو تطلب الأمر وجودك بمفردك بدون مساعدة من احد. فالنتيجة في النهاية لمصلحتك الشخصية... حسناً. هل تشعرين بالجوع؟».

هكذا انتهى الحديث بينهما. شعرت جاني انها خيبت امله بها نوعاً ما لكنها عجزت عن معرفة السبب، ولم تحاول طرح السؤال. فتصرف ثيو نحوها بات كتصرف رجل ناضج يعاون طفلاً في مطلع العمر. انها انفصاله عنها ولمحت في عينيه شرارة غضب لم تعرف سببها.

كانت العمة كاترين تعمل في الحديقة عندما وصل ثيو وجاني. تقدمت منهما وتبادلا التحية. وقع نظرها اولاً على الشاب الوسيم الأسمر الجذاب ثم انتقل الى جاني والابتسامة

والغبطة ظاهرتان في عينيها.
«جايني عزيزتي».
عانقتها طابعة قبلة على وجنتها.
«السيد كارينغتون، ارجو ان تتفضل بالدخول ومشاركتنا بتناول طعام الغداء».
كاترين سينغر ارملة تعيش بمفردها. لها ابنان يعملان في السلاح الجوي النيوزيلاندي. تملك قلباً مفعماً بالمحبة نحو الآخرين وتعيش حياة اجتماعية نشيطة وتتحلى بمقدرة على التنظيم، مما جعلها ترأس منظمة عالمية لمساعدة اللاجئين في كل انحاء العالم. يتطلب عملها استعداداً للسفر المستمر. لكن كاترين تملك حيوية ونشاطاً. والدليل على ذلك انشغالها في الحديقة في يوم حار لم تشهد اوكلاند مثله من قبل.
«الحرارة في الداخل اسوأ من الخارج».
قالت كاترين وهي ترافق ثيو وجايني ثم تابعت قائلة:
«اعد نفسي كل صيف بتجهيز هذا المنزل بمكيف للهواء لكن الحرارة هنا لا تدوم الا اياماً قليلة، مما يجعلني اغير رأيي».
رافقت كاترين جايني الى غرفتها وامرتها بان تغتسل وتغير ثيابها. عادت جايني بعد دقائق، منتعشة ومرتدية ثوباً صيفياً ناعماً. سمعت عمتها تتحدث الى ثيو. يظهر انهما منسجمان تماماً. انضمت اليهما جايني لتناول الشراب، كانت تراقب عمتها متمنية لو تملك اتزانها ورقتها. ميزتان تملكهما ثيو على

السواء. فهو وكاترين من عالم واحد. يتمتع كلاهما بنظرة حاذقة لا تخدعها المظاهر الخارجية. الفرق بينهما ان في نظرة كاترين محبة ولطف بينما تخيم السخرية والاستخفاف بالآخرين على نظرة ثيو.
«ما بالك يا جايني لا تشاركيننا في الحديث؟ هل تعانين من صداع؟».
احتقن وجه جايني واجابت:
«لا. لم اعد اعاني من صداع مثل قبل. اعتقد انها لم تكن الا مسألة وقت».
«يسعدني معرفة ذلك. يبدو ايضاً انك توقفت عن النمو. كنت اخشى ان تبلغي ستة اقدام. لحسن الحظ بانت قامتك متناسقة وتبدين بحالة جيدة. يبدو انك تحولت من فتاة الى امرأة ناضجة».
ابتسمت جايني وهي ترمق ثيو بنظرة ساخطة. لاحظت السخرية على وجهه وابتسامته الماكرة. تعلم جيداً ما يجول في ذهنه. فهو يتذكر بلقائهما معاً على الشاطىء، حيث ساهم ثيو في نضوجها من فتاة الى امرأة. لكنها لن تدعه يزرع الشك والتساؤلات في ذهن عمتها. فأجابت:
«لا شك اني اجيد استعمال اطرافي الآن. فباستطاعتي التنقل بدون الاصطدام بما يحيطني. اتذكرين الكارثة التي سببتها مرة حين تعثرت فوقعت فوق طاولة من المأكولات امضيت وقتاً طويلاً في اعدادها وتنسيقها؟».
ضحكت العمة كاترين واجابت:

فلم ولن انسى هذه الحادثة ابداً».

والتفتت نحو ثيو قائلة:

«اعتبر بيتي اشبه بقطة تسرح بمشيتها. اما جانيي فهي كالمهر. طويلة اليدين والقدمين وتفتقد الاتزان. بمجرد دخولها الان وقد زودها الوقت بأنوثة ونعومة. حسناً لا بد ان تتناول الطعام الان قبل ان تفقده الحرارة».

وبعد الغداء، غادر ثيو وراحت جانيي تذرع الغرفة بخطواتها عاجزة عن الهدوء. فاقترحت عمتها اصطحابها الى المدينة للتبضع. فذهبا معاً الى مركز تجاري مشهور بمخازنه الرائعة المملوءة بأجود البضاعة المستوردة والمحلية. سمعت جانيي لهجات عديدة، منها اميركية واسترالية ومنها صينية ويابانية.

يقصد هذا المركز سواح من كل انحاء العالم.

حان اوان المقابلة وقصدت جانيي المكان المعين. تمت المقابلة افضل مما كانت تتوقع جانيي. لم تشعر بأي ارتباك بل كانت هادئة وصريحة. قام بالمقابلة ثلاثة مسؤولين. امرأتان ورجل. وكانت الاسئلة تطابق تلك التي طرحها عليها ثيو. واجابت جانيي بالاجوبة نفسها.

«على الأقل، لا تخشين الاعتراف بالحقيقة. ربما العمل في المكتب ليس امنيتك المطلقة لكن كوني على ثقة ان التأهيل العملي الذي ستتلقينه في المعهد سيكون قيماً ومفيداً. فقدرتك على الضرب على الآلة الكاتبة وحدها تفتح امامك ابواباً لمجالات متعددة. هذا طبعاً اذا قررت اللجنة قبول

طلبك».

هذا ما قالته المسؤولة اختتاماً للمقابلة.

وذهبت جانيي واثقة ان المقابلة تمت بخير.

قضت مدة العصر برفقة عمتها. زارا معاً المتحف الوطني ووعدتها عمتها باصطحابها الى مطعمها المفضل لتناول طعام العشاء ثم انهاء السهرة في المسرح حيث تعرض مسرحية مشهورة. كان المطعم انيقاً ورائعاً، ارستقراطي الذوق والجو. يقصده الاثرياء وذوو الشأن. وارتدت جانيي ثوباً اخضر اللون بدت فيه اطول وانحل مما هي عليه. كانت الوحيدة في المطعم مرتدية ثوباً من الطراز القديم، فشعرت بالاحراج والارتباك.

«تبدين جميلة يا جانيي».

قالت عمتها وقد لاحظت الاضطراب على وجه جانيي ثم تابعت:

«اهدأي واطمئني وحاولي الاستمتاع بوقتك. تجاهلي الناس حولك. هل تفضلين اختيار الطعام بنفسك؟».

«لا. سأدع الخيار لك».

وبينما انهمكت عمتها باختيار اصناف الطعام، اخذت جانيي تتأمل النساء حولها بحسد متمنية لو انها تملك الصفات نفسها التي تتحلى بها تلك النساء. حتى العمة كاترين بوسعها ان تتعامل مع ثيو بطريقة لبقة وفعالة، بيني ايضاً ولو ان ثيو اساء اليها. بينما جانيي ما زالت تعتبره لغزاً هي عاجزة عن حله.

قطع حبل افكارها دخول ثيو القاعة برفقة حسناء رائعة الجمال. طويلة، رشيقة وانيقة. تتألق بثوب اسود طويل يظهر قامتها المتناسقة بجمال تفاصيلها.

حولت جاني نظرها الى عمتها، ففوجئت بها تبتسم لها. كأنها تعلم ما يجول بخاطر جاني وما يحرق قلبها. احنت جاني رأسها وتوردت وجنتاها من الخجل. لا شك ان عمتها كما وصفها والد جاني حذقة ولا يفوتها شيء. لازمت كاترين الصمت متفادية مناقشة الموضوع تاركة المبادرة لجاني. ورآهما ثيو والقى التحية من بعد. تغلبت جاني على ارتباكها وحاولت تجاهل وجوده في القاعة نفسها. فتحدثت مع عمتها وتمتعت بتناول الطعام الشهي وبعدها قضت وقتاً سعيداً في المسرح حتى انها تمكنت من النوم من دون صعوبة.

استيقظت في الصباح واستعدت للعودة الى اواكيير. وصل ثيو لاصطحابها وغادرا معاً بعد توديع العمة كاترين. خيم الصمت بينهما حتى غادرا المدينة وبلغا بداية مسافات من السهول والوديان والبساتين الخضراء. فابتدأ ثيو بالحديث قائلاً:

«وكيف كانت امسيتك البارحة؟».

«ممتعة جداً. وانت، هل قضيت وقتاً مرحاً؟».

«بكل تأكيد. هل اعجبتك نورا؟».

«نورا؟ آه... تعني الفتاة... او المرأة التي كانت برفقتك؟».

«نعم. المرأة تعبير اصح. نورا برايتلي تعمل في التصميم

الفني للمنازل».

اجابت جاني محاولة اخفاء الحسد في صوتها:

«لا شك انها خارقة الجمال».

ضحك ثيو واجاب:

«قالت انك لطيفة ومفعمة بالصحة. ولا اعتقد انها تقصد مجرد الاطراء».

اغتاظت جاني لمعرفتها بان ثيو تحدث عنها وعجزت عن التفكير بوضوح فلا شك ان ثيو ونورا يعرفان بعضهما معرفة حميمة. يدل على ذلك انسجامهما في الحديث ليلة امس. كانت نورا تنظر الى ثيو نظرة فاتنة مغرية. رحب بها ثيو مظهراً رغبة مماثلة. ولاحظ ثيو شرارة الغضب في عيني جاني فاستطرد قائلاً:

«وما بالك؟ لم يسبق ان اظهرت نفوراً تجاه صديقة من صديقاتي من قبل؟».

يبدو من لهجة ثيو انه مدرك عواطف جاني ويعتبر الأمر مجرد تسلية لا اكثر. ارتعشت جاني وغمرها شعور بالخجل لكنها صممت على مقاومته فقالت بحزم:

«ربما لاننا نختلف كلياً. وما رأي نورا بعمتي كاترين؟».

«اعجبت بها الى حد كبير. يبدو ان عمتك مشهورة في اوكلاند. انها تعمل معه في لجنات مختلفة».

«صحيح؟ عمتي تقوم بتنظيم اعمال خيرية عديدة».

«وهي كذلك. انا واثق انها ستعجبك».

«رجاء».

نظر اليها ثيو بدهشة واجاب:

«يا لك من شيمة. ما الذي يجعلك تشكين بما قلت؟».

«حسناً. قلت لي مرة انها لا تحب البطاقات البريدية وانا احبها اترى اختلاف ذوقنا؟».

«اتذكرين كل شيء قلته لك؟».

نعم اجاب قلبها لكنها قالت:

«لا اذكر كل شيء لكني لسبب ما لم انس ما قلته عن امك. هل اوشكت على انهاء روايتك الجديدة؟».

«يوماً ما سأرغب [illegible] اجابتك حين تغيرين الموضوع لكني قررت اليوم الا اكون لطيفة نحوك فساجيبك عن [illegible]. [illegible] لم أنهِ الرواية بعد ويبدو اني متأخر في [illegible]».

«ولماذا؟ هل غادرك ؟».

«لا لم يغادرني لكن هنالك حاجز منعني من الاستمرار في الكتابة».

اجاب بصوت متجهم. لتعلم جانيت انه لن يخبرها عن الحاجز هذا. ففضلت التزام الصمت وبعد وقت قصير سألها ثيو:

«كيف تمت المقابلة مع المسؤولين في المعهد؟».

«لا بأس. اعتقد انهم وافقوا على التحاقي بالمعهد».

«رغم ما اظهرته من قلة اهتمام».

«نعم. اعجبتهم صراحتي».

ضحك ثيو واجاب:

«صحيح. ان الصدق من حسناتك المحببة. فحتى لو تفوهت بالكذب، تبوح عيناك بالحقيقة. وتتورد وجنتاك بسهولة. . . اذا ستتبعين نصيحة بيني».

«نعم بكل تأكيد».

اجابت والألم يدق فؤادها. كانت تود لو تخبره انها برغم الحب الذي تحمله نحوه لن تدع شعورها المجنون يقف في طريق مستقبلها وحياتها.

«حسناً اذاً».

ثم ادار الاذاعة ليستمع الى تقرير عن لعبة كرة المضرب، كما اراد [illegible]. لم تعلم جانيت عنه بعد لم يكن. وشعرت جانيت ان [illegible] انها ستقاوم [illegible] تختلف عن [illegible] شيء من [illegible] واظهار حبها له ليلة امس. حاولت جانيت الاستماع الى صوت المذيع وطردت ثيو من افكارها.

وبعد مضي اسبوع تلقت جانيت رسالة من المعهد تبشرها بقبول طلبها. ولأن السنة الدراسية تبتدىء بعد عشرة ايام انهمكت جانيت بالاستعداد للانتقال الى اوكلاند.

جاء سام لزيارتها وقد اسعده قرارها خاصة انه سيتمكن من رؤيتها باستمرار. جلسا معاً على الشرفة يتحدثان. فقال سام:

«ستشتاقين لأواكيتو يا جانيت. فهو حال كل من يغادر هذا المكان. لا تيأسي سيبقى منزلك هنا وبوسعك الرجوع متى شئت. ثم ان وجودي ووجود بني في اوكلاند سيخفف من

وحشتك».

«صحيح. لكنني لا ارغب في مغادرة هذه الارجاء».

«لا احد يرغب ذلك. فلأواكيبو سحر نادر. انها عبارة عن بضعة مخازن وبساتين وحدائق وانهار ومزارع وشواطىء. عناصر تجديها في مناطق اخرى لكنها في اواكيبو تستولي على عقلك وتبهرك بجمالها».

«ما الذي يذكرك في اواكيبو وانت بعيد عنها؟».

«شجرة اوكالبتوس تعانق السماء. وانت؟».

«ليل جامد ونباح وراء النقاء».

ضحك سام وضغط على يد جانين قائلاً:

«لن يكون بوسعك ان تذكر اواكيبو حيث سيصعب عليك سماع نباح كلب في المدينة. لكنك ستنشقين رائحة البحر بين حين وآخر».

«برغم رائحة الوقود؟».

ضحك سام ولازم الصمت بعد ذلك. شردت افكار جانين في مستقبلها الكئيب. ها هي ستبتعد عن كل ما يعشقه قلبها. تيم وأواكيبو، والداها وحرية وبراءة طفولتها. لم يعد لها اي امل للتمسك بأي منها بعد الآن. وسام الذي لم يعد الانسان الذي عهدته منذ سنة سيتوقع منها اكثر من الصداقة التي تشعر بها نحوه. اغرورقت عيناها بالدموع. شعرت بثقل السنين التي ستقضيها من دون تيم. سمع سام بكاء جانين فقال لها بلطف وهو يشدها نحوه:

«لم تغادري أواكيبو بعد. فلا تفسدي آخر اوقاتك فيها

بالحزن والتجهم. تعالي الى الداخل قبل ان تفكر امك انني سبب بكائك».

٨ - توروروا تغادر المرفأ

«جايني، ما دمنا احتفلنا بانتقال بيني الى اوكلاند، علينا ان نعاملك بالمثل. اريد منك ان تعدي لائحة باسماء المدعوين. ليكون عددهم الأقصى حوالى عشرين شخصاً».

قالت جوي مخاطبة ابنتها. لكن لا تود جايني الاحتفال بمغادرتها آواكيبو. فهو حدث لا تتمناه مطلقاً. مع انها مرغمة عل احترام رغبة امها. فتظاهرت بالبهجة وقالت:

«حسناً اذاً. لا سبب يا امي لتنظيم حفلة كبيرة...».

«لا تقلقي. دعي الأمر لي. هيّا الآن الى غرفتك وابتدئي بتحضير لائحة المدعوين».

دخلـت جايني غرفتـها وما زالت فكرة مغادرة آواكيبو

تعذيبها.

لم يبق سوى اسبوع وتبتديء صفحة جديدة في حياتها. صفحة بيضاء ناصعة، خالية من صورة ليو وجماله، خالية من طيف توروو وجمال آواكيو. اقتربت جايني من نافذتها لتتأمل السفينة التي استولت على قلبها وغيّرت مجرى حياتها كلياً، منذ وصولها المرفأ. لم يزل ثيو منهمكاً بانهاء روايته. لم يقع نظرها عليه سوى مرة واحدة حين تناول العشاء برفقتهم. كان يبدو متعباً من قلة النوم. بدت نظراته اليها مجردة من اي شعور وكأنها لم تعد سوى جزء منسي من ماضيه ولا علاقة لها بحاضره او مستقبله. تفادت جايني التحدث اليه وانزوت تراقب عن بعد التحفظ الذي طرأ على تصرف بيني تجاه ثيو. وكأنهما لم يشاركا ابداً لحظات عاطفية واوقاتاً حميمة معاً. بدا على وجه ثيو التقدير والاحترام تجاه بيني. يا لها من محظوظة! وربما على جايني ان تشكر القدر لأن علاقتها بثيو لم تدم وقتاً طويلاً. قريباً سينتهي كل شيء. تساءل جايني اذا كان شعورها نحوه لن يموت ابداً. هل يعني ذلك انها ستقبل الاقتران

بأخر لن تقوى على حبه حباً كاملاً حقيقياً ما دام قلبها اسير حب آخر. فكرة لا تقوى على تحملها اذ تملأ قلبها رعباً.

تجاهل ثيو حب جايني له ومنعها من اي مشاركة في حياته. وبدأ يبتعد عنها منذ ان جمعتهما تلك اللحظات العاطفية على الشاطيء. ادرك ثيو حينئذ خطر الموقف وتصرف بسرعة وحكمة.

كيف تلومه جايني وهو الكاتب الفذ والانسان الذي يخطط ابطالها بخبرته في الحياة وادراكه للعلاقات العاطفية؟ فاذا فشلت بيني في اجتذابه لا امل لجايني بذلك اطلاقاً.

تناولت جايني قلماً وشرعت تدون اسماء الاشخاص الذين تود دعوتهم الى حفلتها. وفي صباح اليوم التالي ارتفعت الحرارة الى درجة قصوى. وما زال بول يراقب تطورات الطقس فقال:

«اتوقع وصول عاصفة استوائية قريباً».

فأجابت امه:

«واهلاً بها اذا كانت تحمل امطاراً في طياتها. لم يمر علينا صيف بمثل هذه القساوة وهذا الجفاف من قبل».

اجاب ايين متوقفاً عن تصفح جريدته:

«صحيح. فلم يتكرر هذا الصيف منذ ثلاثين عاماً».

شعرت جايني برغبة قوية للتنزه في الخارج. فقرت شاي بين ذراعيها وكأنها ادركت ما يجول في ذهن جايني. قالت جوي:

«اعتقد انها ترغب في اكل السمك».

فأجابت جايني:

«سأصطحبها الى المرفأ اذاً واحاول التقاط بعض السمك».

قال بول مغادراً مقعده:

«سأرافقك».

وتوجها معاً الى المرفأ. كان المكان يعج بالسياح واهالي

المعلقة. وغص المرفأ بالزوارق والسفن المتعددة الاحجام والأنواع. لكن توروروا ما زالت تتفوق على سواها بالجمال والأهمية. استلقت جايني قرب بول الذي ابتدأ بالصيد. جلست جايني حيث يصعب عليها رؤية توروروا. فعندما سمعت فجأة صوت ثيو خلفها، ارتعش قلبها وجمد الدم في عروقها والتفت بول وقال:

«اهلاً ثيو. فاتك مشاهدة سمكة عملاقة التقطتها جايني لكنها لشدة غبطتها، دعتها تفلت من صنارتها».

ضحك ثيو وهو يرمق جايني بنظرة متفحصة ثم ابتسم متخذاً بدها بيده وقال:

«تعالي لنقضي النهار معاً».

طلب بجنون وتهور لكنها وافقت عليه.

«سأعلم امي عن وجودك برفقة ثيو واتولى امر ايصال عدة الصيد الى البيت. لا استطيع مرافقتكما لانني مرتبط بنشاطات اخرى عصر هذا اليوم».

قال بول وهو يستعد للرجوع الى البيت. انطلقت جايني برفقة ثيو متمنية لو كانت ترتدي ثياباً مناسبة ومتناسقة كثياب الفتاة التي كانت تحدق بثيو عن بعد بنظرة اعجاب. لكن ثيو لم يلاحظ حتى وجودها بل اصطحب جايني الى سفينته ودعاها الى الداخل قائلاً:

«تعالي. ربما تستطيعين اعداد طعام الغداء».

كانت هذه اول مرة تدخل فيها جايني حجرة السفينة. غمرتها الدهشة فرغم صغر حجمها انها حقاً رائعة

ومتسقة.

«لا شك انها قاعة فخمة. هذا يفسر عدم حاجتك للسكن في بيت عادي».

لم يجب ثيو. بدا وكأنه على وشك ان يقول شيئاً لكنه امتنع عن البوح وقال:

«تجدين الثلاجة هناك. تناولي منها ما تحتاجين لاعداد الغداء».

فتحت جايني الثلاجة وتناولت منها بعض الخضار والفاكهة والزبدة والجبن ووضعتها في سلة. اضاف اليها ثيو بعض المرطبات ثم نظر الى جايني قائلاً:

«تجدين مزيداً من الطعام كاللحم والبرتقال في الخزانة هناك».

«هل اضع القهوة في هذا الترمس؟».

«نعم».

وحين انتهت جايني من اعداد الطعام قال ثيو:

«كونك امرأة يجعلك تتشوقين لرؤية ما تبقى من داخل السفينة اليس كذلك؟».

«اتعني ان الفضول ميزة تخص النساء فقط؟».

ضحك ثيو واجاب:

«حسناً. اعترف ان بعض الرجال يشاركون الصفة نفسها. تعالي اذاً».

كانت القاعة المركزية مفروشة بالسجاد. وتغطي نوافذها الستائر. وفي زاوية من زواياها مكتب وآلة كاتبة وقربها

صندوق. نظرت جايني الى الصندوق فوجدته مغلفاً بشريط ومختوماً.

قال ثيو مجيباً على التساؤلات في عينيها:

«نعم. هذه الرواية في الداخل. انتهيت اخيراً من كتابتها».

«لا بد انك تشعر بارتياح الآن».

«صحيح. لكنني اشعر ايضاً بفراغ عميق وكأنني فرغت من آخر نقطة ... تعالي لرؤية ما تبقى».

تحتوي السفينة على كل ما يحتاجه المرء لقضاء حياة طبيعية مريحة. سألته جايني:

«وأين تنام؟».

«في القاعة المركزية. تتحول الأريكة الى سرير. هل رأيت ما يكفي الآن؟».

سألها بسخرية.

«نعم».

وصعدت جايني السلم عائدة الى ركن السفينة. فوجودها مع ثيو بمفردها جعلها ترتبك وادركت فجأة جنونها لأنها قبلت بتمضية النهار معه. اغمضت عينيها مقاومة الخوف الذي تملكها، محاولة استعادة سيطرتها على نفسها. ولحسن الحظ، انهمك ثيو في الداخل فوجدت جايني وقتاً كافياً لتهدئة اعصابها المتوترة. قريباً ستكون في اوكلاند ولن يعود ثيو سوى ذكرى من ماضيها. قررت جايني ان تجعل آخر لحظاتها برفقته لحظات سعيدة تحتفظ بها في مخيلتها لتخلد بها هذا الصيف الذي اوشك

ان ينصرم. ادار ثيو زورقه وانطلقا عبر الجدول بصمت. انتاب جايني خوف مريع عندما ادركت ان ثيو يصطحبها الى الشاطىء، حيث قضيا معاً وقتاً لا ينسى. فهنا اخبرته جايني عن المنزل الخيالي الذي تتمنى بناءه وسط الاشجار وبعيداً عن الانظار. واخبرها ثيو عن تجواله حول العالم وماضيه المليء بالأحداث المثيرة. وهنا ايضاً ادركت جايني قوة تأثير ثيو على نفسها. كان وقتاً يرغب ثيو بتكراره وتشاركه جايني هذه الرغبة. فقالت:

«مكان رائع. لو كنت املكه لقصدته كل يوم».

«السبب الذي يجعل عائلة ثيو تتجاهل هذا المكان هو انه يبعد عن منزلهم ولا يحتاجون للتمتع بالمناظر الخلابة فمنزلهم يقع في نقطة رائعة محاطة بالاشجار والتلال».

استلقت جايني فوق البساط الذي وضعه ثيو فوق العشب وما هي الا لحظات برفقة ثيو حتى نسيت جايني كل شيء الا فرحها وبهجتها لوجوده معها. تبادلا الأحاديث الطريفة والنكات والمناقشات ثم انطلقا معاً يتفقدان ما حولهما من صخور وجداول وبساتين. وفي طريقهما الى الزورق سألها ثيو:

«هل انتهيت من تصميم منزلك؟».

«منزلي؟».

سألت جايني بدهشة ثم ادركت ما يقصد ثيو فأجابت:

«تعني منزلي الخيالي. لا. لم انهه بعد. لكنني قررت ان تكون

غرفة الجلوس في البقعة هذه. هكذا نلتقط منظر البحر الرائع دون حاجة لقطع اي غصن من الأشجار المجاورة».

واستغرقا في النقاش حول تصميم المنزل خاصة عندما اصر ثيو على ضرورة احتواء المنزل غرفة للمطالعة والدراسة.

فقالت جايني معترضة فكرته:

«لكن ابي لم يحتج لغرفة مطالعة. فهو يستعمل غرفة الجلوس ويجدها كافية مرضية».

«ربما. لكنني اصر على وجودها. اعتقد انك تكرهين فكرة انفراد الرجل بنفسه ولو للحظات قليلة. حسناً. هل تشعرين بالجوع؟».

اومأت جايني برأسها واعد ثيو الطعام وتناولاه معاً.

بعد ذلك استلقيا على البساط وغلبهما النوم. وعندما استيقظت جايني كان قد مضى على نومها ساعات معدودة. امتلأت السماء بالغيوم لكن الحرارة ما زالت مرتفعة ويبدو ان العاصفة على وشك ان تشتد.

استلقت جايني على العشب مقاومة رغبتها بالوقوف. كانت تخشى ان ينتهي الحلم، ان تواجه الحقيقة المرة المؤلمة. لكنها اضطرت للجلوس بعد ان انهكتها شدة الحرارة. كان ثيو مستلقياً قربها يراقبها وعندما نهضت ابتسم قائلاً:

«تبدين رائعة الجمال وانت نائمة».

«هراء . .» اجابت ثم تابعت: «هل تعتقد ان السماء ستمطر قريباً؟».

«ربما. لكن الوقت لم يحن بعد. فما رأيك بالسباحة

معاً؟».

ترددت جايني قليلاً ولم تجب. لاحظ ثيو ارتباكها فاقترب منها قائلاً:

«جايني، هل تثقين بي؟».

نظرت جايني في عينيه واجابت:

«نعم».

«واذاً تعلمين انني لن اسيء اليك».

«نعم».

«حسناً».

وابتعد عنها متوجهاً نحو الماء ثم تبعته جايني.

كان الماء بارداً قليلاً. انتعشت جايني وشعرت بالاطمئنان لرؤية ثيو يسبح بعيداً عنها. لكن شعورها ما لبث ان تحول الى كآبة وحزن لابتعاده. وخاب املها فقررت العودة الى الشاطئ، ثم هتفت قائلة:

«اني عائدة الى الشاطئ».

«انتظري لحظة».

صاح ثيو وهو يسبح نحوها. وعندما اقترب منها، التقطها بين ذراعيه وعانقها بشدة ثم اخذ وجهها بين يديه قائلاً:

«سأغادر آواكيرو غداً يا جايني. فوداعاً».

تلاشت القوة من جسمها واوشكت ان تفقد توازنها في الماء. جذبها ثيو نحوه من جديد وقال:

«جايني. تقتلني نظرة اليأس في عينيك. لو انك تعجزين

تغضبك نحوي بأية طريقة اخرى لتمكنت من ان احتملها. لكن صمتك واللوم القاسي في نظراتك يجردني من قوتي كلياً».

اجابت جايني وهي تبتعد عنه:

«آسفة».

ثم اكملت:

«دعني ارحل».

لكن ثيو رفض التخلي عنها واجاب:

«فلتمحي السنوات التي بيننا من متابعة علاقتنا. ما زلت في ربيع عمرك جايني ورجل مثلي لا يستحق حبك الطاهر. تجهلين حقيقتي وماضيّ. احببت نساء كثيرات قبلك. لم اعد اذكر عددهن. وغادرتهن بدون رحمة غير مبال بدموعهن وتوسلاتهن. فلماذا تستجيبين لعاطفتي تجاهك وتزوجتك اخشى ان اسيء اليك في المستقبل بعد ان اشبع شوقي لامتلاكك».

احنت جايني رأسها عاجزة عن الكلام فابعدها ثيو عنه واضاف:

«هيا ارحلي قبل ان افقد ما تبقى لي من شهامة».

عادت جايني الى الشاطئ، بعد ان ارتدت ملابسها وكان ثيو يستعد للرحيل ايضاً فخاطبها قائلاً:

«علينا ان نعود الآن. ستمطر السماء قريباً. وداعاً يا جايني».

اجابت جايني مبتسمة:

«وداعاً يا ثيو. رحلة سعيدة».

غادر ثيو بزورقه بينما عادت جايني الى المنزل مشياً على الاقدام.

دخلت البيت ووقفت قرب المطبخ تتنصت الى حديث بين بيني ووالدتها.

«لا سبب لك للقلق يا امي. ثيو رجل ناضج. لا شيء يجذبه الى جايني».

ثم ضحكت بيني واستمرت قائلة:

«ثيو معجب بجايني لا اكثر. فهي تثير اعجاب الآخرين. خطي سام مثلاً فهو هائم بحبها. فلماذا لا تقلقين حين تكون جايني برفقته؟».

لم يكن بوسع جايني سماع ما تقوله امها. مرت ثوان عديدة ثم اجابت بيني:

«امي. جايني ما زالت طفلة بينما ثيو رجل اجتماعي ذو شأن كبير. يحب النساء الجميلات الأنيقات مثل فيل تالبوت وانا مثلاً. ثيو ساخر ولا يتوقع من علاقاته مع النساء سوى ارضاء غرائزه. لا يؤمن بالحب والاخلاص والثقة بالآخرين، لكنه في الوقت نفسه لا يخدع احداً. لا ارى اي شيء في جايني يشده اليها. فهي ساذجة ولا خبرة لها في الأمور العاطفية. ثيو يفضل المرأة المطلعة على وقائع الحياة. واذا اظهر اي اعجاب تجاه جايني فهذا ناتج عن صدها له وعدم اكتراثها لجاذبيته. فهذا امر لم يألفه من قبل».

ابتعدت جايني متوجهة نحو غرفتها. لا شك ان شقيقتها على خطأ. شعور قوي جذب ثيو اليها. شعور اقوى من غريزة

اعجاب لكنه احتقر نفسه لأجل هذا الشعور.

عندما استيقظت جايني في صباح اليوم التالي كانت تورونوا قد تلاشت عن الانظار. كانت الامطار تهطل بغزارة مما اضاف لشعور جايني الكآبة والحزن.

مرت عليها ايام بؤس لا تحتمل. حاولت بجهد ان تقاوم حزنها. ونجحت في محاولتها وحملت على وجهها ابتسامة مزيفة. دار الحديث حول ليو مراراً. مغادرته المرفأ بهذه السرعة اذهلت الجميع. وبعد ايام معدودة وصلت منه رسالة تشرح سبب رحيله المفاجىء. هطلت الامطار بغزارة لأيام عديدة وانهمكت جايني بالاستعداد لحفلتها. وفاجأت اهلها يوماً بطلبها ان يناديها الجميع باسمها «جاين» لانها لم تعد طفلة بعد الآن. فوافقت امها قائلة:

«بكل تأكيد. يجب ان يضع المرء، احياناً، حداً لأي عائق يقف في طريق نموه ونضوجه، مهما كانت الحجة».

وقال ابوها معلقاً على الموضوع:

«يبدو لي ان اولادي اصبحوا بالغين الآن ولكل مستقبله وطريقه المستقلة. يبقى زوجتي وانا وحدنا في المنزل المهجور».

استمرت جايني بالتغلب على الألم الذي يمزق فؤادها برباطة جأش لم تألفها من قبل، حتى حان وقت حفلة وداعها. وامتلأ منزلها بالاصدقاء. قضى الجميع وقتاً ممتعاً. ولم يفارق سام جايني لحظة مما ارغمها في نهاية الحفلة ان تتخلص منه بلباقة ولطف.

وأوت جايني الى فراشها وفي رأسها يدور حديث جرى بينها وبين كارين خلال الحفلة:

«حفلة رائعة».

قالت كارين ثم تابعت:

«سأشتاق لك كثيراً يا جايني. هل سمعت ما جرى لفيل تالبوت؟».

واجابت جايني بحذر:

«لا لم اسمع شيئاً».

«حسناً، تعلمين تباهي السيدة تالبوت بمقام اسرتها الاجتماعي وعظمة شأنها. فما حصل مؤخراً علمها درساً قاسياً. كانت السيدة كورك تشرب القهوة في منزل السيدة تالبوت عندما دخلت فيل المنزل لاهثة وشاحبة اللون. ورداً على سؤال امها عن صحتها اجابت فيل: «انني حامل».

اذهل الخبر جايني وعجزت عن التعليق بينما استمرت كارين تقول:

«لا شك ان فيل فقدت صوابها. فقد فاجأت امها بالخبر امام السيدة كورك الثرثارة المشهورة، فتعالى الصراخ بينها وبين ابنتها ثم صاحت فيل تقول: «ليس الامر مصيبة. سنضطر لاعلان زفافنا في موعد قريب جداً وهذا كل شيء». ما رأيك؟».

سألت كارين مخاطبة جايني.

«أرجو ان يكون اب الطفل مشاركاً فيل رأيها».

أومأت كارين برأسها ثم قالت:

«لعله ليو كارينغتون. تعرفينه. أتعتقدين انه سيقبل بفكرة الزواج؟ اثارت، مغادرته المرفأ بهذه السرعة، الشكوك. فما رأيك؟».

احتقن وجه جايني وجمد الدم في عروقها. وأوشكت ان تغرس اظافرها في وجه كارين فقالت محاولة اخفاء غضبها:

«أولاً لم تذكر فيل اسم ليو ابداً ولم تقر عن هوية الأب. اعلم ان خروج فيل برفقة ليو مراراً في المدة الأخيرة يثير الشكوك لكنني اعلم ايضاً ان لليو ضميره الانساني وشهامته وليس من عادته القيام بعمل شنيع كهذا».

«أواثقة انت من ذلك؟».

قالت كارين ثم تابعت:

«اعتقد انك على صواب. فليو حريص على سمعته ككاتب مشهور ويبدو عليه القوة والسيطرة الذاتية. شخص مثله لا يوقع نفسه في ورطة كهذه».

نجحت جايني بوضع حد لثرثرة كارين وتشويه اسم وسمعة ليو. ولا تعلم السبب وراء ثقتها القوية في ان ليو لا يقدم على عمل كهذا. فهو اظهر خبرة واسعة في معرفة النساء وطباعهن واستطاع ان يرى فيل على حقيقتها. فوراء هذا القناع الجميل المتكلف فتاة تبحث بيأس عن الحنان الذي لم تجده في والديها. لم يسمح ليو لنفسه بتزويد فيل بحاجتها. ولم يستغل ضعفها لارضاء نزواته. لا شك انها التجأت لشخص آخر بعد ان

فشلت في الاستيلاء على قلبه.

جايني واثقة تماماً ان لليو استقامته مما يمنعه من استخدام فيل لمتعته الخاصة ثم نبذها.

٩ - اقوى من الواقع

واستقرت جايني في اوكلاند. ساعدتها حياتها الجديدة على محاها انين قلبها. تترنح كل [illegible] من بعد غيابا انه [illegible] طويل القاصي. لكنها ادركت بعد [illegible] ان [illegible] كان [illegible] هو الرجل الوحيد الذي احبه قلبها، ولن تستطيع ان تحب اي شخص آخر. نيو اختفى عن سطح الأرض. زار آواكيبو زيارة مختصرة كما اخبرتها امها في رسائلها. جاء ليصطحب كلب جايني المفضل «سيمبا» الذي انقذه مع كلبين غيره عن رمال الشاطىء.

بدا عليه التعب قالت امها في الرسالة. لكنه ما زال الانسان نفسه. وقال انه ينوي السفر الى اوستراليا. ومن المتوقع ان

يكون كتابه التالي حول هذا الموضوع.

اشترت جانين رواياته وقرأت قسماً منها لكنها وضعتها جانباً مصممة الا تلمسها بعد الآن. يؤلمها جداً احياء ذكرياتها من خلال السطور التي تحتوي كلماته وعباراته وشخصه بتعقيده والحاد ذكائه وقساوته.

ولشدة دهشتها وجدت جانين انها تستمتع بدراستها في المعهد التجاري. وتخرجت بتفوق. وفي الوقت نفسه كانت العمة كاترين بحاجة الى سكرتيرة تعاونها في مهماتها. فكان من الطبيعي ان تعطي الافضلية لجانين. رحبت جانين بالعرض خاصة لان عملها يتطلب منها ان ترافق عمتها في سفرها حول العالم. فلمدة سنتين وجدت جانين نفسها تنتقل من بلد الى بلد، من وطن تمزقه الحرب والفقر والتعاسة، الى المؤتمرات العالمية في افخم الفنادق. اتعبتها حياة التنقل هذه لكنها ما لبثت ان اعتادت الأمر وركزت جهدها على الافادة من الفرصة السانحة امامها للتعرف على انواع مختلفة من البشر والتقاليد والحضارات. والتقت برجل في لندن احبها وعرض عليها ان تتزوجه. فترددت جانين اذ ما زال حب نيو مطبوعاً في قلبها فارادت ان تأخذ اجازة لتفكر في الموضوع. قررت العودة الى آواكيو حيث ستقرر مصيرها. صعقها اختلاف المكان وتطوراته. واستلقت على مقعدها في الشرفة برفقة والديها وقالت:

«لم اكن اتوقع ان يتغير المكان على هذا الشكل. لم تذكري لي يا امي ما يجري هناه.

«ولكني اخبرتك عن كل شيء».

اجابت امها بلطف.

«ربما لم اتصور ان يكون الفرق شاسعاً الى هذا الحد. في اي حال يسعدني وجودي هنا من جديد. الخريف في آواكيو فائق الجمال. فالنهار متوسط الحرارة والليل منعش وتبدو النجوم اكبر واتقى من اي مكان آخر».

قال ابوها:

«يسعدنا وجودك معنا من جديد ايضاً».

ثم تابع:

«لم اعرفك لقد تغيرت جداً. اصبحت آنسة انيقة وجميلة جداً».

ابتسمت جانين ثم عبثت انامله بشعرها قائلة:

«والآن ما رأيك يا ابي؟ هل اذكرك بجانين من جديد، بشعرها المهمل وقامتها العوجاء؟».

«لا ابداً. يسعدني انك تعلمت اخيراً الوقوف مستقيمة، واكتسبت ذوقاً رفيعاً في اختيار الملابس التي تناسب قامتك».

وقالت امها وابتسامة الفرح بادية على وجهها:

«علينا ان نجمع شمل اصدقائك من جديد. على الأقل ما تبقى منهم في هذه الارجاء. كارين ومارك مثلاً سيسرهما الاجتماع بك من جديد. احزننا عدم قدرتك على حضور حفلة زفافها. بدت كارين عروساً رائعة. كذلك فاتك عرس بيتي. هل قمت بزيارتها خلال مرورك في

وكلاند؟».

«نعم. لا شك ان الحياة الزوجية تلائمها تماماً. جوليان هائم بحبها ويبدو انه جعل منها اسعد امرأة في العالم. وما هي آخر الاخبار المحلية؟».

«لا شيء يجدر بالذكر. تتولى فيل وزوجها مسؤولية ممتلكات عائلة تالبوت بعد ان اصيب والد فيل بنوبة قلبية».

«وكيف حال فيل وزوجها؟».

سألت جاني:

«انهما على ما يرام ومتفقان اجمالاً. تعلمين الاشاعة التي سادت في المنطقة حول هوية والد الطفل لكن يكفي ان تلقي نظرة على الولد لتعلمي انه صورة مطابقة لابيه. ابدعت فيل في دورها الجديد كأم وهي زوجة كفوءة ايضاً».

«والسيدة تالبوت؟».

ضحكت جوي واجابت:

«قطعت كل اتصالها بابنتها اولاً حتى ولادة الطفل. فالاحفاد صلة وصل بين الأهل واولادهم».

«هنالك نهاية سعيدة لكل قصة كما يبدو».

اصبحت جاني حسناء جميلة وانيقة. صففت شعرها تصفيفة حديثة تلائم ملامح وجهها. واكتسبت ثقة قوية في نفسها. ولاحظت انها لأول مرة تنال اعجاب وفخر امها. فغمرها السرور وفكرت ان التغيير الذي طرأ عليها خلال السنتين الفائتتين كان لأجل شخص واحد، ثيو. وبعد العشاء

خرجت جاني الى الشرفة تتأمل النجوم اللامعة في السماء وقررت ان تقصد في اليوم التالي الخليج حيث بنت منزلها الخيالي. وحيث امضت اسعد اوقاتها برفقة ثيو.

وحيث ولد حبها له ولم يزل حياً في قلبها، يسكن اعماقها ولا يفارقها. تراه في عينيها، وفي انعكاس صورتها في المرآة. ويرافقها انها تحبه وتهواه طال الزمن. كيف لها ان تتزوج شخصاً آخر؟ فالزواج التحام شخصين روحاً وجسداً. ثيو امتلك روحها وما يزال السيد المستبد في مملكة. عندما تعود الى ذلك الشاطىء العزيز يمكنها ان تصل الى حل نهائي.

وفي صباح اليوم التالي اتجهت جاني بزورقها نحو الخليج. فكرت انه من الممكن ان يكون الشاطىء قد تغير كلياً. ربما لن تجد الاشجار والبساتين على النحو الذي الفته. لكنها كلما اقتربت تضاعفت دقات قلبها. فمن بعد مسافة لاحظت جاني ان الشاطىء لم يتغير ابداً. وعندما اقتربت اكثر اذهلتها رؤية منزل مبني في مكانها المفضل. امتلأت عيناها بالدموع وهمت بالعودة الى البيت لكنها اخذت فجأة منظار ابيها لترى المنزل بوضوح اكثر. كان بيتاً خشبياً، نوافذه الزجاجية واسعة وطويلة، تحيطه الاشجار من كل النواحي.

اقتربت جاني من الشاطىء، وتركت زورقها لتتفقد المنزل عن قرب. جذبها شعور لم تقو على مقاومته. فالمنزل منزلها. يطابق الهندسة التي صممتها ذلك اليوم الذي اعترفت فيه عن ثيو. لم يتغير شيء. دخلت المنزل وراحت تتأمل المفروشات

القيمة والذوق الرفيع. كانت تملأ البيت تحف شرقية من الطراز الصيني القديم. ابتسمت جاني حين تذكرت حب ثيو للفن الصيني. بات كل شيء حولها انيقاً كما توقعته وكما عهدته ان يكون. فلا شك ان ثيو رجل ثري وما يؤكد ذلك التحف الثمينة النادرة التي تملأ زوايا المنزل. تذكر ثيو جميع التفاصيل التي اتفقا عليها فيما يتعلق بزخرفة المنزل وهندسته. واتضح لها انها لا شك ستراه في اي لحظة. كانت تقترب ببطء وصمت نحو غرفة المطالعة التي اصرّ على وجودها. وقبل ان تفتح الباب وقع بصرها على كلب اسود ممدد قرب الغرفة فادركت جاني انه سيمبا كلبها المفضل الذي تولى ثيو امر الاعتناء به خلال السنتين الماضيتين. رمقها سيمبا بنظرة تسأل ثم اطلق نباحاً مما ادى الى انفتاح الباب ووراءه على مصراعيه. خرج منه ثيو. فاصبحا وجهاً لوجه. ظهر على ثيو التعب والارهاق وكأنه امضى سنتين من الاشغال الشاقة. لكن عينيه ما زالتا عميقتين مفعمتين بالشوق والحب. ولرؤيتها ازداد بريقهما ووقف ثيو لحظة محاولاً استيعاب ما يراه ثم قال:

«جاني...».

وعانقها بذراعيه بقوة وكأنه لن يدعها ترحل بعد الآن.

واشتدت قبضته حولها، ثم ابتعد قليلاً قائلاً:

«آسف. هل آلمتك؟».

«لا ابداً».

اجابت بصوت ناعم. واقتربت منه تلامس شفتيه باناملها فقال:

«كدت افقد الأمل. لا شك انك اخذت وقتاً طويلاً لتقرري العودة الي. تركتني اتعذب في جحيم بعيداً عنك».

«انا؟ آه... انت... انت...».

وفارقتها الكلمات فابتسمت ثم حاولت من جديد قائلة:

«انت الذي رحلت اولاً وغادرتني. هل تذكر؟ لم اتلق منك اية رسالة ولا حتى بطاقة بريدية. فمن منا المذنب؟».

تمعن ثيو في وجهها دارساً تفاصيله بدقة. ثم عانقها من جديد دافناً رأسها في صدره، راغباً لو يستعيد الوقت الذي هرب من امام حبهما وشوقهما. كانت جاني تستمع لدقات قلبه السريعة. وتشعر ارتعاش جسمه لوجودها قربه. حينئذ فقط ادركت انه فعلاً يحبها.

حملها ثيو بين ذراعيه داخلاً بها غرفة الجلوس والقاها فوق الاريكة. ثم جلس قربها يتأملها بامعان. بانت عيناه وكأنهما تلتهمانها. وضاعت جاني في عالم من السرور والغبطة. كانت قد نسيت الى اي حد يمكن للانسان ان يكون سعيداً. انه ثيو بلحمه ودمه جالساً قربها وفي عينيه يرتسم ما كانت ترجو ان تراه منذ زمن. بريق حب وهيام وشوق ورغبة لامتلاكها، لجعلها سيدة قلبه وحياته. واخذ ثيو وجهها بين يديه قائلاً:

«ليس المكان ولا الزمان مناسبين ليعبر كل منا عن الحب الاسير الذي تجاهلناه لسنتين».

اجابت جاني هامسة:

وحساً».
«إذاً لنسيطر على عواطفنا حتى يحين الموعد لزفافنا».
«ماذا؟ هل تقصد انـا سنتزوج؟».
صاحت جاني بدهشة وكادت تطير من الفرح.
«بكل تأكيد».
اجاب ثيو مبتسماً. واتجه نحو النافذة بينما وقفت جاني وراءه تتأمل جمال المنظر في الخارج. شعرت بسعادة لا توصف. لا شك ان حب ثيو لها قوي والا لما تفجر بهذا العنف وهذا الوضوح. وهي تبادله الحب بالقوة نفسها. ولعل موعد زواجهما سيكون قريباً جداً لأن البعد دام طويلاً وشوقهما لبعضهما لا يقوى على الانتظار بعد الآن. ثم وردت في ذهنها تساؤلات ارادت توضيحها فقالت:
«لماذا تركتني بهذه القساوة يا ثيو؟ لا شك انك ادركت حبي لك منذ بدايته».
التفت ثيو نحوها وجذبها اليه مجيباً:
«اكيد. علمت بحبك نحوي قبل ان تدركي انت حقيقة هذا الشعور. لكنني كنت خائفاً».
«خائفاً؟ ومماذا؟».
«نعم. خائف لأني لاول مرة في حياتي وجدت اني احب حباً حقيقياً ولم اعد املك السيطرة على عواطفي. لم يعجبني ذلك ابداً وادركت ان الحل الوحيد لهذا الوضع هو ان ارحل سريعاً وادعك في سلام».
«ولكن ما هو السبب؟ لماذا شعرت ان لا بد لك من

الرحيل؟ كان بوسعنا ان نتزوج منذ عام على الأقل. فها نحن نضيع سنتين من حياتنا معاً».
«نحن؟ لا يا حبيبتي. انا الذي اضاع عامين من حياته بينما انت رحلت واكتسبت تجارب ومعلومات قيمة ساعدتك على النمو والنضوج».
«اذاً، هذا ما اردته اليس كذلك؟ اردتني ان ارحل لأنني كنت ساذجة وبدون اي خبرة في الحياة».
«هذا جزء من السبب. كنت طفلة. فتاة في سن الدراسة، لا تعلم بوضوح ما يجري في حياتها. اردتك لي. احببتك حباً عميقاً لكنني اردت ايضاً ان اتأكد من ثقتك في نفسك، في حبك لي. هل تفهمين السبب الآن؟».
اومأت جاني رأسها. اظهر ثيو حكمة وذكاء. حبه لها اقوى مما كانت تتوقع. اختار العذاب لنفسه من اجلها. من اجل ان ترى بوضوح حقيقة شعورها نحوه وخاطر بها. تركها ترحل. ربما ادرك انها ستعود اليه يوماً ما. وانهمرت الدموع من عينيها. عانقها ثيو قائلاً:
«لم اقصد ايذاءك. بعد ان نتزوج سأبرهن لك عن حبي وحنيني نحوك كما لم افعل من قبل».
وجفف ثيو دموع جاني ثم همس في اذنها قائلاً:
«لكنني اعطيتك فرصة خلال ذهابنا معاً الى اوكلاند ذلك اليوم. فلو لم تصممي بحزم على الالتحاق بالمعهد التجاري لكنت طلبتك للزواج عندئذ. لكني ادركت الآن ان ما فعلته هو الافضل لانك كنت تحتاجين لوقت بمفردك لتفهمي درجة حبك

لي وقوته».

تذكرت جاين تلك الرحلة وكم قاومت رغبتها بمصارحته بحقيقة شعورها. لكن الندم لا يفيد في شيء وكما قال ثيو ساعدتها السنتان الماضيتان لمعرفة نفسها اكثر. وسألها ثيو فجأة:

«وهل تروق لك فكرة العيش برفقة انسان بارد وماكر مثلي؟».

«ثيو...».

تنهدت جاين وعانقته بقوة قائلة:

«احبك ثيو. واعذر لك العذاب الذي سببته لي لسنتين كاملتين رغم انك حاولت ان تكون نبيلاً تجاهي».

«نبيل؟».

ونظر ثيو في عيني جاين واضاف:

«هذا موضوع آخر. تعرفين القليل عن الماضي الذي عشته قبل لقائي بك. لا ادري اذا اخبرتك بيني، لكنها قالت لي ان ما جلبني اليها كان بالاخص سمعتي الماضية. اما انت فتختلفين عنها. هل يوقع ماضيّ النفور في نفسك؟».

«شعوري تجاه ماضيك ليس شعوراً بالنفور بل بالبغض. اكره التفكير بالنساء اللواتي تخللهن ماضيك لكن ذلك حصل قبل ان تلتقي بي. فحياتك الماضية بجميع تفاصيلها جعلتك الرجل الذي احببته. فليس عدلاً مني ان اشعر بالبغض بعد الآن بل بالشكر».

وضحكت جاين ثم اضافت:

«لا اكترث لعدد النساء اللواتي امتلكنك قبلي ما دمت انا المرأة الوحيدة في حياتك منذ الآن».

ابتسم ثيو واجاب:

«اؤكد لك اني بقيت مخلصاً لك منذ لقائي بك».

رمقته جاين بنظرة تساورها الشك فتابع قائلاً:

«الا تصدقين قولي؟ اتشكين في حقيقة حبي لك؟ لقد جمعنا ارتباط قوي منذ ولادة حبنا لبعضنا. ارتباط اقوى من الوعد والعهود. عندما رأيتك اول مرة تتفقدين قساي التي دخلت حجرة السفينة، ادركت انني وجدت نصفي الآخر».

تنهدت جاين وعانقته قائلة:

«ثيو، حبيبي كم يسعدني هذا القول. احبك كثيراً واعتذر لك مغادرتي».

وقاطع سيمبا عناقهما بنباحه الغاضب لافتاً انتباه سيده لوجوده:

ضحك ثيو واخذه بين ذراعيه ثم قال لجاين:

«اود لو تمكثي معي. لكن سيمبا على حق. لم يحن الوقت بعد. تعالي لاعرفك على منزلك».

كان كل شيء يطابق وصف جاين للمنزل الذي تخيلته منذ عامين. تذكر ثيو كل التفاصيل ولم ينس الوانها المفضلة.

«كيف تذكرت كل ذلك؟».

«اذكر كل شيء قلته لي».

«ادركت حبك لي حين رأيت المنزل. هل علمت بشعوري؟».

ابتسم ثيو واجاب:

«كنت انتظرك. تابعت تنقلاتك باستمرار خلال السنتين الماضيتين».

«كيف؟».

«اسألي عمتك كاترين».

«آه. . .».

ادركت جاين ان زيارتها لأواكيو كانت من تنظيم وتنسيق عمتها بالاشتراك مع ثيو.

«يا لكما من لعينين. وهل يعلم والدي بالخبر؟».

«طلبتك للزواج من والدك منذ ستة اشهر بعد ان انتهيت من بناء المنزل، فكما ترين وقعت في فخ احدثه مؤامرة عائلية».

بقي امر واحد في ذهنها ارادت توضيحه وهو يتعلق بيتي فسألته:

«وماذا عن بيتي؟».

«بيتي؟».

«نعم».

كان ثيو يعلم ما وراء تساؤلات جاين.

«اعتقدت بيتي انني لعبة اصرت الحصول عليها لارضاء رغبتها الشخصية وكبريائها».

«أكان من الضروري ان تظهر نحوها اية عاطفة

ودية؟».

«لكنها اصرت على ذلك ولم تترك لي اي خيار. صدها كان سيعقد الأمور اكثر ولم تعتد بيتي على ان يصدها احد فكان من المهم جداً ان اعالج بلطف ونعومة اولاً. ثم اضع حداً للعلاقة بسرعة ودون اي تعقيد».

«لكنك اسأت اليها».

«ربما كان تصرفي نحوها قاسياً لكن الوقت لم يساعدني على التصرف بأي طريقة اخرى. كان علي ان ارحل بسرعة».

وساد الصمت بينهما لفترة. كانت جاين مستغرقة في التفكير.

لم يعد الماضي مهماً بعد الآن، وبداية جديدة تنتظرها. احبها ثيو وانتظر سنتين وهو ينتظر بصبر عودتها اليه وحياتهما معاً. ونظر اليها ثيو وسأل:

«اذاً؟».

«كل شيء على ما يرام».

«حسناً. لا مفر لك بعد الآن. سأتبعك الى آخر العالم لو احتاج الأمر».

ابتسمت جاين وفكرت في ذهنها ان ثيو اظهر اخيراً انه انسان ضعيف امام عواطفه وحبه ومهما يبن عن قوة شخصية وصلابة ارادة لا يزال قلبه ينتصر على عقله ويتغلب على كبريائه وغطرسته.

«هيا لنذهب ونواجه اهلك بالخبر».

واتجها معاً الى الخارج ووقفا يتأملان الأفق وقال ثيو:

وتعالي يا حبيبتي. تنتظرنا حياة سعيدة ومستقبل زاهر.

وامسك بيدها ومشيا معاً في ظل الأشجار وبريق الشمس، وفي قلب جايلن شعور بالطمأنينة والراحة.

انتهى النزاع والألم ومات القلق وتلاشت المرارة. واصبح كل شيء في مكانه. كونهما معاً حقيقة اقوى من الواقع نفسه.

روايات عبير

HARLEQUIN – "ABIR" – No. 88

البحار الساحر

الثقة بالنفس ليست دائماً ورقة رابحة. والقوي ليس باستمرار قويا على قلبه... نيو كارينغتون، البحار الساحر احبته نساء كثيرات. لكن قلبه بقي حرا مستقلا، حتى جمعته الصدفة بجايني باودن، فتاة في سن الدراسة، تختلف كثيراً عن أي امرأة عرفها ثم [illegible]

احبته جايني حبا قويا مفعما بالعطاء، لكنه صدها وتجاهل مشاعرها قائلا:

«ارحلي قبل ان افقد ما تبقى لي من شهامة. فأنا لا استحق حبك».

رحلت جايني واليأس يحطم كيانها فكيف لها ان تعيش بعد الآن وفي قلبها طيع حب الذي لا امل لها في عودة؟